(٢) من تراث الحلاج

قصة الحلاج

وما جرى له مع أهل بغداد

تحقيق ودراسة

سعيد عبد الفتاح

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

(٢) من تراث الحلاج

قصة الحلاج

وما جرى له مع أهل بغداد

تحقيق ودراسة

سعيد عبد الفتاح

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف

ت: ٥١٢٠٨٤٧


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الحلاّج

الذى سُلِبَ منه الجسد

ليظل باقيًا

سعيد

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

«اللهم لك الحمد حمدًا دائما مع خلودك، ولك الحمدُ حمدًا لا مُنتهى له دون مشيئتك، ولك الحمد حمدًا لا يزيد قائلها إلا رضاك، ولك الحمد حمدًا مَليًا عند كل طرفة عين وتَنَفُّسِ نفس».

اللهم صَلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحقِّ بالحقِّ والهادى إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم.

ثم أمَّا بعد:

فهذا كتاب «قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد» كنت قد قرأته مخطوطًا أثناء عملى فى التحقيق لبعض الكتب الصوفية، وهو (معجم المصطلحات الصوفية)[1] إذ كُنت مأخوذا بما فى يدىّ، ولكنى حين قرأتُ هذا النص عن الحلاج تمنيت لو حققته أيضًا، ولم أكن وقتها -حتى سنة ١٩٩٠م- قد اطَّلعت على نسخة (أخبار الحلاج) التى حققها (ماسينيون)، ولم أقرأ ما كُتب عنه بالفرنسية، إذ أنى لا أجيدها، باستثناء قراءتى لما كُتب عنه باللغة العربية فى بطون المراجع القديمة، والحديثة على السواء. ولكن الأمر كان يُمثِّل لنا على أن الاقتراب من العمل فى أى نص للحلاج هو اقتراب من حقل ألغام مائل للانفجار الآنى، وظلت هذه النقطة تؤرّقنى محاولا الخوض فى هذه المنطقة المحرّمة بأمنيات وقلب المحب لتراث وطنه، إذ كيف يُقَدَّم الحلاج بقلم فرنسى ولا يتم تحقيقه على يد مُحب من أبناء الوطن، حتى وجدت الفرصة أثناء قراءتى لكتاب (تاريخ التراث

---

(١) هو كتاب (لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام) لعبد الرزاق القاشانى معجم المصطلحات الصوفية. طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦م نفدت طبعته الأولى ويعاد بنفس المكان طبعه للمرة الثانية، فى مجلدين كبيرين أيضا كطبعته الأولى.

العربى) الذى صنعــه التركى المقـيم بألمانيا (فؤاد ســزكين) تقول: إن ماســينيون لم يطّلع على هذه النسخة، وبالــتالى لم يحققها، ولكنه حــقق فيما يبدو مثـيلاتها. وحتى الوقت الذى أحكى لك عنه كنت فرحا بقراءتــى لقصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد، فــالتهمتهــا إذ إنها تُحكى وتُصاغ بروح عامــة هذا الشعب. ثم لا ضير إن كان حــققها ماسينيــون أم لا، وبدأت أجرؤ على تحقيقهــا، واشتد عزمى وقوى أن وجــدت بعض الأصدقــاء يشدّون مــن أزرى وقتهــا، حتى أن الصــديق الكاتب جمال الغـيطانى قد أخذها فور الانتهــاء من تحقيقها ونشــرها منجّمة على صفحات جريدة (أخبار الأدب) ثم نشرها فى جــهاز الثقافة الجماهيرية فى سلسلة جديدة فى سلسلة (الذخائر) قــدمها فى العدد الثالث مباشــرة فى شهر مارس سنة ١٩٩٦م.

وفوجئت بنفاد نسخها فى نفس اليوم التى وُزّعت فيه على باعة الجرائد تقريبا. وحمدت الله أن روح المثقــفين والعوام هامت مع الحلاج يناصرون قضـيته وفرحين بأن التحقــيق الذى قُدّم كان على مستــوى النص وشجعنى هذا الاستقــبال الحافل لصدور الكتاب بــنفاد طبعته، ومناقــشة النص وقراءته أن أجرؤ مــرة أخرى وأقدّم نصاً (أخبار الحلاج) مــحققًا فى مصر والعــالم العربى لأول مرة أيضا[١]. بعد أن ظل الاقتراب من هذه الأعــمال منطقة محرمــة لا يجوز اختراقها. فــالحمد لله أن قُدِّمت النصــوص بتحقيق جــديد، وقراءة جديدة، ووعى جــديد، أيضا،ونحن إذ نشكر للمستــشرق ماسينيــون مبادرته لتقديمه نصــوصا عن الحلاج وتحقيــقها، لابد أيضا أن نشير إلى أهمية أن نقرأ النص بدون تأثيرات خارجة عنه، حتي نتمكن من فهم ما يقدم دون التأثير على مشاعرنا بالسلــب أو بالإيجاب، وإن كان الأفضل أن يُقرأ النص بروح من يفهمــون طبيعة هذه الشخصيــة، فإن الإضاءة التى تشع منهم بفهمــهم لهذا النص وهذه الشخــصية وطبيعــة علاقاتها يمكن أن تتــم بسرعة دون تقديم الافتراضات لأن الأمر بالنسبة لهم لا يحتاج إلى كل ذلك.

(١) نُشر بالمكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٠م.

أخيرا أدعو القارئ الكريم أن يعيد النظر فيما قُدِّم من نص (قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد) ونص (أخبار الحلاج) والنصوص والملاحق فى آخره ليرى قيمة عملنا فيه.

والله أسأل أن يجعل كل ذلك فى صحيفة عملى وميزان حسناتى يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

غرة المحرم ١٤٢١ هـ — المحقق

الموافق أبريل ٢٠٠٠م — سعيد عبد الفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

لاشك أننا نكتشف مع قصة الحلاج أداءً جديدًا لهذا الضمير الشعبى، وهذه الروح الشعبية التى تحرص دائمًا على أن تصهر تراث الإنسان كله فى بوتقتها تحتضن منه ما تريد لتبقيه حيًا مضيئًا، تحنو عليه وتعيد إنتاجه بطريقتها الجذابة الموحية بالشجن والعشق كما تُبقى - أيضًا - ما تريد لتسخر منه فى تراث النكتة، والحكمة، والعبارة الصافية المعبرة.

قدَّمتُ للقارئ دُرَّة جديدة كانت منغمسة فى تراب النسيان. ما أزحت إلاَّ هذا التراب لتبرق من جديد، وتعيش أمام أصحاب الأبصار والأفئدة؛ الذين يكترثون بهموم وطنهم، ويرون وراء كُلِّ شئ مالا يراه معدمو الأبصار.

وربما تساءل بعض الناس: مَنْ مؤلف هذه الدُّرَّة؟ وقد طرحت هذه الفكرة فى حديثى عن حدْس الجماعة الشعبية، وأنه مهمًا وجد من مؤلف، أو أصل فردى صاغ هذا النص فإنما صاغه وكتبه بروح عشاقه ومحبيه من هذه الجماعة الشعبية، التى، هى وحدها، تصوغ ما تريد بخيالها ورؤاها. ولذا قدمت للقارئ بعض الأفكار التى قد تُذكّره بحياة الحلاج الحقيقية - والتى أصابها هى أيضًا الغموض - ليسير داخل النص ويرى كيف يصهر الضمير الشعبى الحيوات فى حياة واحدة.

فى هذا النص سيرى القارئ كيف يتجاور التصوف، مع الحياة السياسية، مع الحياة الاجتماعية، مع طبيعة تفكير البسطاء فى الشارع وعلاقاتهم بالعالم. فضلاً عما تتضمنه هذه القصة من الإشراق الكشفى، والفنى معًا.

سعيد عبد الفتاح

٢٦ أبريل ١٩٩٣

حدْس الجماعة الشعبية

(١)

كيف ينفذ المرء إلى ما وراء الصيغ والعبارات، ليصل إلى الحركة الكامنة فى عمق المعنى ومعنى العمق؟ وأين تكمن المعرفة الحدسية عند الجماعة الشعبية، لتحتضن ذوات الأشياء لا أوجهها؟ وكيف يحقق الضمير للجماعة الشعبية تحررها، بعيدًا عن التحليل والتركيب، وفك عناصر الأمور المعقدة؟ وكيف؟ . . وكيف؟

نحن هنا إزاء إحساس خاص لضمير ونفس الجماعة الشعبية، وتدفق حالاتها فى نمط آخر من أنماط تجاربها المتعددة. مثل احتضان تجربة «عنترة بن شداد»، والدفاع عنه وتأكيد حقه الطبيعى فى الحياة. ومسافة هناك بين واقع شخصية عنترة، وبين ما رسمه الضمير الشعبى بخياله. وكيف أتاح حدْس هذه الجماعة. أن يُدخل نمطًا آخر يرى أنه يستحق الدفاع عنه، وتكريمه، وتخليده. هل لأنه يستحق التكريم والخلود بما قدم؟ أم لأنه مخالف للنظام الرسمى والسلطة؟ أم. أم. . . إلخ.

هل تجاوب الجماعة الشعبية مع شخصية مثل شخصية الحلاج يعنى أنها - أى الجماعة - تفهمت طبيعة ما تقدمه هذه الشخصية للناس وللحياة ومن هنا كان الإيمان والدفاع؟ هل صورة هذه الشخصية عند الجماعة الشعبية نوع آخر من صور الطويلة التى ترتقبها؟ أسئلة كثيرة فى الحقيقة يجب أن تطرح.

فالجماعة الشعبية حينما تؤمن بقضية مثل قضية الحلاج الصوفى الشهير. لا تكتفى بإيمانها، وإنما تعمل على توصيل مفهومها لهذا الإيمان. بل والدفاع عنه. وهى تعلم تمامًا أنها تخالف بذلك كل القوانين التى تسيّرها أو ترغب فى تسييرها. بل وتعلن عامدة المخالفة للأفكار التى تفرض عليها.

فكتابة قصة مثل «قصة الحلاج» وروايتها فى الطرقات أو على المقاهى أو فى التجمعات الليلية مثل الموالد والحفلات الدينية وغيرها، يعد بكل المقاييس احتضان

هذه الجماعة لهذه الشخصية - بعد الإعجاب بها بالطبع - وإلا ما الذى يجعلها - هى الجماعة المحافظة - تؤمن بأن ما قيل حول زندقة وكفر الحلاج مجرد اتهام لا أساس له من الصحة.

وكذلك اتهامه بأنه اتصل بالقرامطة والإسماعيلية ونشر أفكارهم وهذا يخالف النظام العباسى.. إلخ.

وهو الذى قام بالتشهير به والمناداة عليه فى الشوارع بمخالفاته تلك[1] التى اتهموه بها واستناد السلطة بالقطع إلى آراء بعض الفقهاء والعلماء لتأكيد الاتهامات جعل الضمير الجماعى يعيد له حقه بتمجيده وتخليده ونشر، وحفظ آثار عنه. وجعل هذه الشخصية لا تزال مثار جدل أكثر من ألف ومائة عام منذ قتل الحلاج سنة ٣٠٩ هجرية حتى الآن.

وليس ما تفعله الجماعة نحو كتابة القصص والأشعار عنه لتمجده أو تخلده فقط، بل لتدين عصرًا بأكمله تواطأ فيه رجاله: فقهاؤه، وخاصته مع النظام القائم.. وما تَمَّ فى هذا العمل يعبر بالقطع عن حدْس الجماعة الشعبية بامتلاكها وجدانًا قويًا تعاطفت به، وليس هذا التعاطف وجدانيًا فحسب وإنما تعاطف عقلى نفّاذ يكشف عن مكنونات هذه النفوس، ووعيها، وفهمها لطبيعة ما يحدث خلف الأستار ووراء وراء المكنون من الأشياء.

(٢)

وإذا ما انتقلنا إلى نقطة أخرى لها قدر كبير من الأهمية وهى. من يؤلف هذه النصوص الأدبية؟ أو هذا النوع من الأدب الشعبى الشفاهى. هل من المعقول أن الجماعة الشعبية كلها تجتمع لتؤلف نصًا أو تكتب سيرة مثل ما حدث أو قصة كما للحلاج وغيره؟

وبعد عدد من الافتراضات أقول كما قالت الدكتورة نبيلة إبراهيم فى كتابها؛ «أشكال التعبير فى الأدب الشعبى»[2]:

«لم يبق سوى أن نفترض الأصل الفردى للإنتاج الشعبى، وهذا الفرد الخلاّق

(١) حدث ذلك سنة ٣٠١ هـ قبل القتل بثمانى سنوات.

(٢) الدكتورة: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير فى الأدب الشعبى. طبعة دار المعارف - القاهرة.

لا يعيش حياة ذاتية، بعيدة عن المجموع. وإنما يعيش حياة شعبية صرفًا. وهو بما له من نشاط إبداعى خلّاق يخلق الكلمة المعبرة التى سرعان ما تلقى هوى بين أفراد الشعب جميعه. إذ تكمن فيها روحه وتجاربه ومشكلاته». ولعل هذا يؤكد فكرة الحدْس عند الجماعة الشعبية. فهى بحدْسها تشيع الإحساس فى نفس المؤلف الفردى، وهى المستقبلة لنوع التأليف والمحافظة عليه تُبقى منه ما تريد بترديده وتناقله، ليشيع ويملأ الأسماع. وتخفى منه ما تريد.

ولابد أن أعرض فى الصفحات القادمة صورة لهذا الحدْس الذى يدين عصرًا كان فيه الظلم سببًا من الأسباب الرئيسية لقتل شخصية صوفى كبير مثل الحلاج. صورة الخيال الشعبى، والذكاء الشعبى لفهم طبيعة هذه الشخصية، التى كان ذنبها أنها آمنت، وأحبت، وأخلصت فى وقت كانت فيه هذه القيم النبيلة ذنوبًا وخطايا، عند أصحاب السلطان[١].

(٣)

ولنبدأ القصة المسماة بقصة الحلاج. لنرى كيف يرويها الخيال الشعبى. وكيف يرسم ملامح هذه الشخصية باعتبارها تستحق الخلود والذكر.

يقدم الراوى حلم السيدة ونذرها: إن رزقها الله بولد فسوف تهبه إلى أهل الله يتعلم الدين والقرآن ويخدمهم. ويحقق الله دعاءها ويلبى طلبها. وهذا الطفل الذى ترزق به فيما بعد هو: «الحسين بن منصور الحلاج».

عندما يبلغ من العمر ثمانى سنين، تذهب به إلى الشيخ الجنيد[٢] راجية قبوله خادمًا لأهل الله، وفاءً للنذر، فيقبله منها، وتبدأ رحلة الطفل الجديدة فى الحياة.

ولعل من الطبيعى أن أقرر هنا - ما ذكرته كل المصادر - أن الحلاج لم يكن فى الواقع يومًا ما مريدًا للجنيد. وإنما صَحِبَه وطلب مشورته وهو فى الطريق. بعد أن

(١) من المعلوم أن واقعة قتل الحلاج تمت فى عهد المقتدر بالله، الذى أزيح عن الخلافة مرتين ثم عاد إليها وقتل هو الأخر فى نهاية أمره. انظر فى ذلك تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس للديار بكرى ٢٤٨/٢ وما بعدها، والنويرى فى نهاية الأدب ٢٣/(٢٣-١٠٣).

(٢) ستجد له ترجمة أول بداية نص الحلاج المحقق.

دخله على يد «سهل بن عبد الله التُّسْتَرى»[1] ثم صَحِبَ «عمرو بن عثمان المكى»[2] الذى ألبسه خرقة الصوفية. ثم ذهب إلى بغداد مستنصحًا الجنيد، وكان وقتها لم يبلغ من الطريق ما بلغ إلاّ أنه قد عرف منهجه، والذى يخالف فيه منهج الجنيد.

لكن الخيال الشعبى يرسم ملامح خاصة به ويجعل فيها الحلاج مريدًا للجنيد. فكيف رسم هذه الصورة.

يستقبل الجنيد حُسين ويقول له:

ياولدى حسين إخدم الفقراء فى الزاوية حتى تنال الخير فيقول له حسين:

السمع والطاعة لله ثم لك.

(١) (سهل بن عبد الله التسترى) هو: سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع، وكُنيتُه أبو محمد، أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين فى علوم الرياضات والإخلاص وغير ذلك.. صحب خاله محمد بن سَوَّار، وشاهد ذا النون المصرى سنة خروجه إلى الحج بمكة. أسند الحديث، وتحدث فى علوم القوم كان يقول: (من أحبَّ أن يطَّلع الخلق على ما بينه وبين الله تعالى فهو غافل).. وكان يقول: (الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من الله، ومفتاحه الدعاءُ والتضرُّع). توفى رحمه الله سنة ٢٨٣ هـ.
انظر ترجمته فى: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ٩٠، ابن خلكان وفيات الأعيان ١/ ٢٧٣، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ١٨٢، السلمى: طبقات الصوفية ٢٠٦ المناوى الكواكب الدرية ١/ ٤٢٩، الجامى: نفحات الأنس ٢١٣، البغدادى: هدية العارفين ١/ ٤١٢، الهجويرى: كشف المحجوب ١٦٧، النبهانى: جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٥، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٤/ ٤٦، الرسالة القشيرية ١٨.

(٢) (عمرو بن عثمان المكى) هو: عمرو بن عثمان بن كُرب غُصَص، وكُنيته أبو عبد الله. كان ينتسب إلى الجنيد فى الصحبة، ولقى أبا عبد الله النِّباجى، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ.
كان أستاذ الحسين بن منصور الحلاج. ثم لم يوافقه فى بعض ما شهر عنه. فحدثت بينهم خصومة توفى، رحمه الله، ببغداد سنة ٢٩٦ هـ قبل قتل الحلاج بمدة. كانت له أقوال فى علوم القوم منها: «المعرفة: صحة التوكل على الله تعالى».
انظر ترجمته فى: السلمى: طبقات الصوفية ٢٠٠، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/ ٢٩١، الرسالة القشيرية ٢٨، الجامى: نفحات الأنس ٢٦٩، ابن الجوزى: صفة الصفوة ٢/ ٢٤٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٢٥ البغدادى: هدية العارفين ١/ ٨٠٣، المناوى: الكواكب الدرية ١/ ٤٧٢، الشعرانى: الطبقات الكبرى ١/ ١٠٤ الهجويرى: كشف المحجوب ١٦٦

انظر هنا إلى المفهوم الشعبى للطاعة. . والمفهوم الصوفى يقرر فى أحد مناهجه للعلاقة بين الشيخ والمريد. أنه يجب على المريد أن يكون بين يدى الشيخ كالميت بين يدى الغاسل[١].

ثم أعد النظر أيضًا حول خدمة الفقراء الموصلة إلى الخير فهل يعنى أن ما وصل إليه الحلاج، أو غيره فى الطريق نتيجة طبيعية لخدمته للفقراء فى الزاوية أولاً؟

ظلال يضفيها ويضيفها المفهوم الشعبى للتصوف. وبالفعل يصير الطفل حسين خادمًا فى الزواية ومطيعًا لشيخه. يكنس الخلاوات، ويملأ الأباريق، ويدير النعال.

الطاعة مع هوان الوظيفة عند الصوفية موصلة إلى الخير، فإن صبر على ما هو فيه، يُترك له فرصة التعلم والاستماع إلى الدروس.

ويشتعل الخيال الشعبى الخصب. ويقدم فى البداية عددًا من اللمسات الفنية للقصة، يعبر بها عن فهمه لحركة الشخصية وسير الأحداث وتقدُّمها. تتمثل هذه اللمسات فى:

أن تنزل ورقة بالولاية للشيخ الجنيد من السماء. يضعها تحت السجادة لأمر يريده الله تعالى - هكذا يقول الراوى - ويقوم ليتوضأ حتى لا يمسها إلاّ على طهارة، لأن فيها اسم الله الأعظم.

وتكتمل هذه اللمسات حين يدخل الحسين ليكنس الزاوية وينفض السجادة - طبيعة عمله فى الزاوية - فيجد الورقة فيبتلعها على حب التبرّك - روح الحياة الصوفية -

لابد من الوقوف هنا عند كل نقطة. فما يقال الآن عماد القصة وأساس فهمها. وسير أحداثها متوقف على هذه البدايات. لأن الخيال الشعبى يضع أيضًا هنا مفهومه للتصوف، ولأهم أسسه وكيف يتم التجلى، وكيف يُفهم. . . إلخ. وربما اقترب المفهوم هنا فى أحد أوجهه من الصورة الحقيقية للتصوف. لكنها على أية حال صورة أُنشئت خصيصًا لتناسب هذه القصة وهذه الشخصية. وربما أخذت صورة التصوف وجهًا آخر فى المفهوم الشعبى فى قصة أخرى عمّا هى عليه هنا.

---

(١) انظر: أبو بكر الرازى: (منارات السائرين ومقامات الطائرين) بتحقيقنا.

أقول:

ماذا حدث بعد دخول الجنيد الزاوية ولم يجد الورقة؟ إنه يفجر فى القصة بُعدًا هامًا، من أبعادها. وربما كان أهم أبعادها.

إن الجنيد يسأل: يافقراء من رأى منكم ورقة فليردّها ولما لم يرد أحد عليه جوابًا يقول:

من رأى ورقة ولم يردّها قُطِعَتْ يداه، ورجلاه، وحُرِقَ، وذر رماده فى الهواء.

إنها النبوءة التى يفجرها الشيخ الجنيد. والتى تعمل عملها طوال القصة حتى النهاية.

تُرى هل قالها للتخويف؟ كما يرى الراوى فى بداية القصة إنها بالقطع النبوءة ويؤكد هذا ويعضده بقية القصة وكذلك ما قاله الحلاج نفسه فى النهاية:

- لقد نفذت فىّ نبوءة الشيخ الجنيد.

أم يضع الراوى نقطة فنية تبعد الذهن قليلاً عن سير الأحداث تلك أمور لابد من طرحها وإن كانت الإجابة ستتأخر.

وأعود. ماذا صنعت الورقة بالحسين؟

إن الجنيد وهو الشيخ ينكر ما رآه من حال مريده. لكنه يسأله:

مالذى. أصابك؟ وما جرى لك؟

فيقول له:

«ياشيخى: نسمة من جنابه وقّفتنى ببابه، وبشّرتنى بوصاله واقترابه، واستراح الفؤاد من هجره واحتجابه، وطاب لى ما سمعت فى الدُّجى من لذيذ خطابه»[1].

(١) وردت فى ديوان الحلاج شعرًا من مجزوء الخفيف على النحو التالى:

نسمة من جنابه ... أوقفتنى ببابه

جذبتنى لوصله ... أبدًا واقترابه

واستراح الفؤاد من ... هجره واحتجابه

طاب ما سمعته ... فى الدُّجى من عتابه

وعلى كل حالة ... سكرتى من شرابه

فهى هـذه النسمـة هى التى عبّـر عنها الراوى بأن الحـلاج صار لا أحد يـفهم كلامه، ويشطح فى الكلام زائد وناقص - على حـد قوله - مما دفع الشيخ الجنيد لإنكار الحال عليه وسؤاله ما الذى أصابك؟

إن هذا التـعبيـر يكرره الراوى داخل النص إذا مـا ضاق أهل بغـداد بالحلاج. ويكاد يكون هو التعـبير الوحـيد الذى يشبه اللازمـة مضافـًا إليه: «ثم بكى بكاء شديـدًا وأخذ يقـول» . . إلخ . . من مثل هذه العـبارات، والجـمل المتكررة داخل النص.

إن لـسان حال الحلاج يعبر عن هذا التغيـر الذى أصابه بعد أن ذكر لشيخه هذه النسمة التى أوقفته وبشرّته . . إلخ.

يقول:

ألا ياليـل مـحـبـوبـى تجلى ألا يالـيل للـغـفـران هلاّ

ألا يانـيل مـا أبهى وأحـلى ألا يالـيل أكـرمنى وجـلىّ

ولا طفنـى إلى أن صـرت كـهـلا

ويرقبه شيخه الجنيد ويخشى عليه من كشف سرّه فيقول له:

- يا حـسين أنت وصلت إلى هذه المنزلة!

إنت كنت وصلت إليها فعليك بكتمان الأسرار.

فيرد عليه:

- يا شيخى مالى قوة على كتمان الأسرار

فيقول له:

- كيف ترى نور المحبة فى قلبك؟

= وقد وردت هذه الأبيات ضـمن ما أورده (الشيبى) فى الأشعار المنسـوبة للحلاج، المقطوعة رقم (١٠) وقد صنع لها عنوانًا: (النسمة المسكرة) ولم ينسـبها لأحد معين، وقال: على لسـان الحال - أى عبر بها أحد عن الحلاج وهذا جائز طبعًا انظر الديوان صـ ١٠٢، ١٠٣ . .

يرد الحلاج:

- أرى نورها فى قلبى، فلم أر إلاّ ربىّ، فأخذ عـقلى منى، وقد سلبنى عنىّ، ثم نظرت منه إليه، فلم أر فى الكون إلاّ هو.

ولا يخفى على القارئ أن التاريخ الصوفى للحلاج يكشف فى أحد جوانبه عن أحد أسبـاب قتله فى أنه لم يقو على كـتمان أسراره. فأذاع مـالم يُقْبَل منه، ولم يفهمه الناس فعدوا ذلك منه زندقة وكفراً. ولعل تجربة البوح هذه عبر عنها الشبلى فى قوله:

«كنت والحلاج فى منزلة واحدة إلاّ أنه كشف وكتمت»[1].

وهل يمكن أن نذكر هنا قول أبى هريرة: «حـفظت من رسول الله ﷺ وعائين، أمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع منى الحلقوم»[2]، رواه البخارى.

وكذا قول على بن زين العابدين (رضى الله عنه):

يارب جـوهر عـلم لو أبوح به	لقيل لى: أنت ممن يعـبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمى	يرون أقـبح مـا يأتـونه حـسنًا

ويذهب أهل بغداد إلى الشيخ الجنيد يشكون له ما يفعله مريده.

يقولون له:

«اعلم أن مريدك حسين قد أتعبنا وهو يشطح ويتكلم بكلام لم يدخل فى العقل ولا فى البال. وقد شغلنا عن بيعنا وشرانا وأوقف حالنا فنسألك أن ترده عنا».

فيقول لهم:

انصرفوا فإذا حضر فسأؤدبه

---

(١) انظر: الحلاج: سامى مكارم..
الحلاج: محمد جلال شرف صـ ١٠، الهجويرى: كشف المحجوب صـ ١٨٠ مع تغيير بسيط.
يقول: [أنا والحلاج شئ واحـد، خلّصنى جنونى وأهلكه عقله] ولو كان متهمًـا فى دينه ما قال الشبلى أنا والحلاج شئ واحد.

(٢) الحديث: رواه البخـارى فى جامعه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ومعه أحـاديث تعضده. انظر التجريد الصريح لأحاديث البخارى باب العلم، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٧/ ٢٦٢ (مادة وعى).

فلما حضر الحسين أعلمه شيخه بشكوى أهل بغداد منه ومن كثرة كلامه، وقال له:

- إرجع عما أنت فيه، ولاترمى روحك فى الهوان فيقطعون منك الأوصال ويعذبونك بأشد العذاب.

فيقول له الحلاج:

- التعذيب فى رضى الحبيب.

ولعله يقصد ما أحلى التعذيب فى رضى الحبيب.

وهنا لابد أن أتوقف عند كلام الجنيد وقوله: إرجع عما أنت فيه ولا ترمى روحك فى الهوان.

هو فى الفهم الصوفى: لا تكشف ما أنت فيه من أسرار فلا يفهمك الناس، فتهون فى نظرهم.

ذلك لأن قضية الحلاج الأساسية هى كشف الأسرار. ولذا قيل فى أحد أسباب لقبه بالحلاج أنه لُقِّب به لحلجه أسرار الموحدين أى كشفها وتعريتها كما يفصل الحالج أو حلاج القطن الحَبَّ عن القطن. (وستأتى نقطة حلج القطن فيما بعد).

ولهذا يجب ألاّ يفهم رأى الجنيد على أنه تراجع دور باعتباره شيخه عما يرى مريده. والقصة تثبت فهم الشيخ وطاعة المريد، والقصة بخيالها تأخذ من أخص خصوصيات شخصية الحلاج الواقعية، والتى هى من أهم جوانبها التاريخية والصوفية معًا.

وتتزايد شطحات الحلاج. ويقل احتمال أهل بغداد لما يقول.

فيعيدون الشكوى إلى شيخه. فيقول لهم:

امسكوه حتى أحبسه فى مخزن القطن

فيتجمعوا ويحبسونه فى مخزن القطن. فيقول لسان حاله:

يظنون أن الحُبَّ هزل بلا جد

وما ذاك إلاّ وصف زائد الحد

ومـــــا علت نـار الهـــــوى بمتـــيَّـم

بذا الحب أن لا يعـــيـــد ولا يـبـــدى

وبات فى مخزن القطن ينشد الشعر، ويقرأ القرآن، ويذكر الله فإذا دخلوا عليه فى الصباح وجدوا القطن محلوجًا، مندوفًا.

الحَبُّ فى ناحية والقطن فى ناحية.

ويسألونه: كيف حلجت كل هذا القطن؟ وهل صنعتك حلاّج؟

فيرد عليهم:

أنـا حـــسين الحـــلاج إيش تـنكـروا من حـــالى

أنـــا حـلـجـت قـطـنـى بـالذكـــر والقـــرآن

أنا قـــضـيت عـمـرى فـى خـــدمـــة الديّان

وما عدَّته الجماعة الشعبية هنا من كرامة بخيالها. تغنى بها التاريخ الصوفى الذى يملأ الصفحات حول كرامات الحلاج. بالضبط كما هى نص الفكرة هنا أو قريب منها قليلاً، وكان الربط طبيعيًا بين لقبه وبين هذه الكرامة. وقد ناقشت من قبل لماذا لقّب بالحلاج وتحدثت عن جانب كشف الأسرار. وهنا يبدو الأمر وكأنه طبيعى تمامًا. فهو صوفى كبير له كرامات، والعلاقة بين الكرامة والخيال الشعبى يربط بينهما خيط رفيع من فهم الأمر على أية حال.

ومن ظهور كل هذه الكرامات التى ذكرتها القصة هنا لا يزال أهل بغداد يصرون على الذهاب إلى الشيخ الجنيد. وفى هذه المرة يطلبون من الحلاج أن يذهب معهم إلى شيخه الجنيد وإلاّ قطعنا منك الأوصال.. - على حد قولهم.

لكن الحلاج ينشدهم:

أيـا ســـادتى لـولا أخـــاف عليـكم

زفـرت فـأحـرقت الخـيـام بعـبـرتى

ولما ذهبوا به إلى شيخه الجنيد وحكوا له ما حدث بعد حلج القطن عندما

أصبح الصباح. كأنما أراد شيخه أن يكافئه على ذلك. فمد يده وأعطاه منديله وقال له:

- خذ هذا المنديل.

فأخذه الحلاج منه، وحذفه فى الهواء فطار المنديل. ونظر إليه وهو يقول للمنديل: خذنى معك.

فطار معه، على مرأى من الواقفين. يبهتهم العجب والاندهاش ويستمر الحلاج مدة سنة كاملة فى غياب - كما يقول الراوى - التقط أثناءها أهل بغداد أنفاسهم ويقول بعضهم:

- الحمد لله الذى راح عنا، واسترحنا منه، وأكلته وحوش البرارى، وقبل أن يتموا أحاديثهم بفرح غيابه يأتيهم الخبر بدخول الحلاج من باب بغداد وهو يقول:

«لا إله إلاّ الله. ما يدوم إلاّ الله، ياقوم اذكروا الله، ياقوم وحّدوا الله».

فيراه الناس فيشتد عليهم الأمر. وطبعًا هنا يستعيض الخيال الشعبى فكرة الشطح والدخول فى متاهاتها بأن كلام الحلاج الذى يقوله لا يخرج عن التوحيد بأى حال وإن زاد فهو ذكر الله. . بدليل أن كل ما قاله الحلاج فى السوق وغيره حتى الآن فى السياق العام للقصة ما هو إلا توحيد وذكر.

ويقول الراوى: «والناس خلفه يكتبون حتى وصل إلى بيت الشيخ الجنيد. فيتكرر ذهاب أهل بغداد إلى الشيخ الجنيد وهم يقررون أمامه لابد من حبسه حتى يروا مصالحهم.

وهم أيضًا يُقرُّون أمامه أنهم لا يستطيعون القبض عليه لأنه ساعةً يمشى، وساعةً يطير فى الهواء.

فيرفع الشيخ عن كاهلهم هذا الامر ويقول لهم:

- قولوا له شيخك الجنيد يقول لك أدخل فى هذا المكان. فإنه يدخل.

وتتبدى علاقة الشيخ بالمريد هنا فى أوج إكتمالها. مجرد خبر يأتيه ويقول له: شيخك يقول لك أدخل هنا فإنه يدخل.

ولابد أن يتعجب الإنسان. لأنه هنا سيدخل السجن!

وبالفعل يذهبون إلى الحلاج ويسمع منهم ما يريده الشيخ، فيدخل باب السجن دون تعقيب أو تعليق منه. وبمجرد دخوله أغلقوا عليه الأبواب بإحكام فهل. انتهى الأمر؟ وهل استراحوا؟ وهل..؟

* * *

وماذا عن السجن؟

لما دخله وجد فيه من الخلق كثيرا، فلما رآهم قال:

«معاشر المحابيس ما حبسكم إلا ذنوبكم وغفلة قلوبكم وقدر شغلكم عن سيدكم ومحبوبكم فاسمعوا منى وإلا قعادكم هنا يطول..»

فقاموا والتفوا حوله يسمعون ما يقوله.

يقول الراوى- فصلى بهم العشاء ثم قاموا وخط خطا وعمل فيه صفات مركب، وجلس وسط المركب ثم دعاهم ليجلسوا معه فقاموا وجلسوا. فقال لهم: **«يا فقراء حرّكوا مركبكم بذكر الله تعالى»**، فذكروا معه ورفعوا أصواتهم بناءً على طلبه. وإذا بالخط يتشكل فى صورة مركب حقيقى وهم فى وسط البحر، فصرخ فيهم جدّفوا بذكر الله. ووقف على سطح الماء ثم جرى والمركب خلفه حتى أوصله إلى البر، وأنزل المحابيس وهو يقول لهم: **اذهبوا إلى حال سبيلكم.**

وقد روى هذه الرواية «طه عبدالباقى سرور» فى كتاب.[١]

قارن بينها وبين رواية فريد الدين العطار[٢] فى كتابه أيضا حين يقول: «أن الحلاج رسم على حائط السجن صورة مركب ثم أمر المسجونين بأن يركبوا فيها، وأن يذكروا اسم الله سبحانه، فلما فعلوا غابوا عن الحبس ونجوا جميعا».

نقلت هذه الرواية بنصها كما نقلها «سرور» عن فريد الدين العطار ليقارن القارئ بين الروايتين الأولى فى القصة والثانية فى ترجمة الحلاج فى كتاب «تذكرة الأولياء» والروايتان تثبتان الكرامة للحلاج بهذه الطريقة. وطبعا هناك كتب أخرى أخذت عن العطار هذه الرواية وأسندتها إليه.

تُرى هل وقع، الأصل الفرد، مؤلف هذا النص على كتاب تذكرة الأولياء، ونقلها منه نصا؟ أم أن شيوع الأخبار والكرامات عن الحلاج سجلت مثل هذ

(١) أنظر: طه عبدالباقى سرور: (الحلاج شهيد التصوف الإسلامى) ص١٧٩.

(٢) أنظر: فريد الدين العطار: (تذكرة الأولياء) الجزء الأول.

الكرامات وملأت خيال وضمير الجماعة الشعبية؟ ربما. وربما أيضا قرأ هذه الرواية فى كتاب آخر.

وكلما توقف الإنسان حول ما يُروى عن الحلاج لابد أن يعلم مدى أهمية هذه الشخصية. وقد روى عنها التاريخ أحداثا طويلة خاصة عن فترة سجنه الأولى سنة ٣٠١ هـ والثانية التى كانت قبل مقتله، وكيف دعى إلى مذهبه داخل السجن فكثر دعاته خارج السجن[١].

* * *

تتفجر داخل الأحداث نقطة مهمة تشعل الحركة نحو النهاية. يلتقطها الفنان الشعبى، هى ترتبط بشطح الحلاج الذى ضاق منه أهل بغداد فتصعد الحدث.

يؤذن المؤذن للصلاة ويقول: الله أكبر، الله أكبر. فيقول الحلاج: كذبت. أو يقول: تكذب.

تقوم الدنيا، ولم تقعد إلا بموت الحلاج، ويصرخ فيهم قائلا: أنا ما كذبته فى المقال، ولكن كذبته فى الحال.

ويغمض عليهم الأمر فتعلوا شكواهم وتنتقل من شيخه الجنيد إلى الخليفة وتتحول القضية لتأخذ شكلا آخر، ويضطر الحلاج إلى شرح ما يقصده من شطح وكلام ولكن هل سيصدقونه؟

يقول الحلاج: لو قال الله أكبر بصدق الإشارة[٢]، ما حملته هذه المنارة ولتفتتت من تحته الحجارة.

ومع الإقناع الذى يبديه الحلاج فى شرحه لما يقصد، إلاَّ أن الأمور التى تحاك ضده فى الخفاء أقوى من أى إقناع، ويزداد الإلحاح فى الشكوى إلى الخليفة

---

(١) أنظر: النويرى: نهاية الأرب ٣٨/٢٣ وهى السنة التى خلع فيها المقتدر الخليفة على ابنه أبى العباس وقلّده مصر والمغرب واستخلف له (مؤنس الخادم) وهذا العباس كان عمره أربع سنوات.
وأنظر أيضا تاريخ الخميس للديار بكرى ٢٤٩/٢، وأنظر: سامى مكارم: الحلاج فيما وراء المعنى والخط واللون.

(٢) وأنىَّ لهم بفهم الإشارة الباطنة الكائنة وراء هذا المعنى!

ويتصـور الناس حوله، هروبه. ثم يدخل المدرسـة فيغلقـون بابها عليه، ويقـعون بالفعل أمام كـرامة أخرى من كراماته العـديدة، عندما يذهبون إليه فيكبّـر أمامهم وهم ينظرون إليه وإلى جسده الذى ملأ المكـان فلم يجرؤ أحد منهم على الاقتراب منه. فلم يسعه مكان.

وهذه الكرامة التى يرويها الخيال الشعبـى يقول عنها: ابن عربى فى «الفتوحات المكية» **«وروينا عن الحـلاج أنه ذاق من هذا المقام -مـقام العظمـة كان يتحـدث عنه ابن عربى- حتى ظهر عليه منه حال المقـام فكان له بيت يسمى بيت العظمة إذا دخل فيه ملأه كله بذاته فى عين الناظر، حتى نُسِبَ إلى علم السيـميا فى ذلك لجهلهم بما هم عليه أهل الله من الأحوال»**[1].

تبارى كثير من المصادر ذكر عدد كبيـر من كرامات الحلاج بعضها صنعه الخيال والمبالغة فى محبته، والبعض الآخـر أتُّهم فيه أنه من عمل السحر والشعوذة وقليل جدا من هذه الكرامات التى يـصدقها الناس، وهى التى تؤخذ من مـصادر موثوق بها عندهم.

يتطور الأمر ويعـودون بعد ثلاثة أيام ليـقبضـوا عليه، ويدخلوه إلى الخليـفة، فيقـول له الخليفة: كل شىء سامحناك فـيه، إلا تكذيب المؤذن، فإن كنت سكران أفق.

فيرد الحلاج على الخليفة:

ذكـــر المحـــبـــــة يا مــــولاى أسكـرنى

فــهـل رأيت مـــحـــبـــا غـــيـــر ســكران؟

وذا قلـيل عـلى مـــثلى لجـــرمـــتـــه

فـــمـــا عـصـى الله عـــبـــد مثل عـــصـيـــانى

---

(١) أنظر: محيى الدين بن عربى: الفتوحات المكية (الباب الثالث والـتون بعد الأربعمائة) وهو باب فى معـرفة الاثنى عـشر قطبـا الذين يدور عليهم عـالم زمانهم، ٤/ ٨٤، وانظر البـاب (الثالث والثمانون وثلاثمائة) فى مـعرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات المحـمدية ٣/ ٥١٩ من طبعة دار صادر بيروت.

نادوا علىّ جـمـيـعـاً فـى مـجـالـسكم:

هـذا المسىء، وهـذا المذنب الجـانى

فهل يعتبر ما قاله لسان حال الحلاج أمـام الخليفة تحديا لهيبة الخليفة؟ وهل هذا مخالفة؟ وهل؟

يقول الراوى: فلمـا فرغ حسين من شعره قـال له الخليفة: يا حسين إن أهل بغداد وعلماءها يريدون مناظرتك، ومجادلتك.

فقال له: حبا وكرامة أحضرهم بين يديك.

فقام الخليفة، وأرسلهم وأكرمهم غاية الإكرام، وقال لهم:

هذا حسين، قد أحضرناه بين أيديكم فما تقولون فيه؟

فقـال الفقهاء: يا حسين أنت تُكَذِّب المؤذن فمـا يكون عندك من الرد فى هذا الكلام. فإنه لا يكذب المؤذن إلا من كفر ، وحل حرقه.

فقال لهم: احفروا لى حفرة واملأوها بالفحم والنار.

ففعلوا ما أراد. فقال: احضروا أمير المؤمنين. ثم طلب منه هاون نحاس.

يقول الـرواى: فأمر الخليفة بإحـضار هاون نحـاس وكان وزنه أربعـين رطلا بغداديا.

قام حسين وألقـاه وسط النار وصبـر عليه حـتى بقى جمـرة نار وجلس على الهاون وقال لهم: يا علماؤنا، ويا فقهاؤنا، ويا عامة، ويا سوقة، ويا أهل بغداد، كل من كان مـنكم يريد مناظرتى ومجـادلتى فليجىء ويجلس مـعى فى هذه النار على هذا الهاون النحاس.

فلما سمعوا ولَّوا الأدبار وركن الكل إلى الفرار.

ولابد للراوى هنا أن يدخل فى روايته على العامة الـوعظ والإرشاد وهى قضية مطروحة عامة فى الأدب الشعبى، إذ كيف يتقبل العامة منه هذه القصة دون تقديم الوعظ المباشر.

يقول الراوى: فقال لهم حسين: يـا ويلكم تهربون من نار الدنيا ولا تهربوا من نار الآخرة؟ فمن أراد أن ينجو من نار الآخـرة فلا يأكل الحرام، ولا يظلم الأيتام، ولا يترك الصلاة والصيام.

يقول الراوى: ثم إنه صـار يحدثهم ويوعظهم وهو واقف على الهـاون فى النار فلما زاد به الغـرام والعشق والهـيام حط أصابعـه فى أذنيه وقال: الله أكـبر، الله أكبر، فانطفأت النار وتفرقع الهاون، وصار ستين قطعة.

ثم قال للخليفة: يا أمير المؤمنين لو قال المؤذن الله أكبـر بصدق الإشارة لما حملته هذه المنارة، وكانت تفتـتت من تحت أقدامه الحجارة، أنا ما كـذبته فى المقال وإنما كذبته فى الحال.

فهل تؤتى هذه الكرامـات -التى قدمها الحلاج صـدقا لطريقه، وحقا لفـهمه، ثمارها-؟ وهل ستشفع له الكرامة الأخيرة التى قدمها أمام الخليفة له عنده؟

وهل؟ وهل؟

لكن لمن تحاك المؤامـرات والضغائن، ومن يُحـيكها إلا ضعاف النفـوس وشرار البشر و . . . . . و . . . . .

يقول الراوى:

فقام حسين وذهب إلى شيخه وبات عنده، وإذا برجل يدخل على الخليفة اسمه «خالد»، ولعله هو «حامـد بن العباس»[1] الذى تولى كبر هذه القضيـة ومتزعمها الأوحد فى قتل الحلاج «انظر ما سيقال عنه فى المحاكمة».

وناول الخليفة ثمانين فتوى كلها تقطع عليه بالكفر والإلحاد والزندقة.

يقول الراوى: وتلك الفتاوى مـن أربعة وثمانين عالما من علمـاء بغداد، وعلماء الشام، وعلماء مصر، إن فى قتل الحلاج إصلاح المسلمين.

صورة الإدانة لهذا العصـر بما حدث فيه يقدمهـا الضمير الشعبى دامغـة ومعبرة عن فهمه الثاقب للأمور السياسية التى كثيرا ما يتهم بأنه بعيد عنها.

---

(١) (حامد بن العباس) هو وزير الخليفة المقـتدر بالله، وهو من تولى إثم قتل الحلاج بعد أن جَدَّ فى طلب ذلك من الخليفة المقتدر. وسيرد اسمه كثيراً وله ترجمة فى هذا الكتاب.

ويعيد الخليفة النظر مع شيخه الجنيد، ويطلب منه الحلاج للقصاص لأن فى ذلك صلاح للمسلمين.

فيقول الشيخ الجنيد للحلاج لائما: أنا أقول لك أكتم سرّك وإلا ما تسلم.

فلما سمع الحلاج من شيخه هذا الكلام علم أنه مقتول لا محالة فطلب قلما وقرطاسا -كما يقول الراوى- وكتب: **«لكم مهجتى طوعا، لكم مهجتى رضى، لكم جسدى منى لكم حلّوا»**.

وألقى الورقة فى الهواء فغابت ساعة وجاءت مكتوب فى ظهرها: **«إن كنت منّا وتريد قرب وصلنا أطعنا، قتل النفوس فى شرعنا حلّو»**.

أى حلّوا قتل النفوس فى شرعنا مادام من أجلنا، ولابد أن يفهم النص على هذا المعنى أو قريب منه مادام المقام مقام الكبار من المتصوفة.

فلما كانت الإجابة هكذا فإن الحلاج لا يتأخر فينشد الشعر قائلا:

أقتلونى يا ثقاتى إن فى قتلى حياتى
وحياتى فى مماتى ومماتى فى حياتى

فما أتم كلامه حتى أخذوه إلى المصلب، وقطعوا يديه، ورجليه والخليفة واقف ينظر والحلاج يستكمل شعره:

اقتلونى واحرقونى فى عظامى الباليات
تجدوا سرّ حبى فى طوىّ الباقيات
فأنا أستغفر الله من عظيم السيئات
اقتلونى يا ثقاتى إن فى قتلى حياتى

وتستكمل الفتنة أبعادها بعد دخول اثنين من كبار القضاة ليعلنوا أمام الخليفة أنهما شاهدا الحلاج فى السوق وهو يقول: ما فى الجُبّةِ غير الله.

تُرى هل يضير الشاة بعد ذبحها أن يتحدثوا عنها عند الخليفة، أم أن الحدْس الشعبى يريد كشف الذين يتقربون حتى بعد كل ما حدث.

هذه القراءة التى قدمتها لنص (الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد) بمثابة قراءة تذوقية أدبية لا تعفى إطلاقا من الوقوع فى أسر فهمى للقص والنَّص أيضا، ولعلها تكشف جوانب صياغة الحبكة الفنية التى أرادها الفنان الشعبى امتثالا للنبوءة التى قُدِّمت بداية.

لا أقول إننى قدمت كل شىء عن النص، ففيه الكثير والكثير لم يقدم بعد، ولم أكشف عنه، وإنما أردت فقط أن أقدم له قراءة سريعة أكشف فيها عن جانب الحدْس للجماعة الشعبية، وإعجابى بها تُرى هل أصبت؟

هذا ما أرجوه، وإن لم، فللقارئ الكريم الحق فى طرح رؤيته مرة ومرات..

وأسأل الله أن يجعلها ذخراً لى فى

ميزان الحسنات يوم لا ينفع مالٌ

ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم

سلَّم الله قلوبنا له

آمين

المحقق

سعيد عبدالفتاح

الحلاج
تاريخ ومعالم

* هو الحسين بن منصور الحلاج، اتفقت جميع المصادر على أنه ولد سنة ٢٤٤هـ وقتل ببغداد سنة ٣٠٩ هـ عن خمسة وستين عاما.

* انتقل مع أسرته، وهو مازال حدثا إلى «واسط» ومن هناك انتقل إلى «تُستَر» حيث صَحِبَ سهل بن عبدالله التُسْتَرى أحد كبار الصوفية فى عصره لمدة عامين.

* ثم صحب الحلاج «عمرو بن عثمان المكى» الذى ألبسه خرقة الصوفية، لكن يحدث خلاف بينهما فيستنصح الشيخ أبا القاسم الجنيد بعد أن سافر له إلى بغداد فيشير إليه بالصبر والمداراة.

ألقابه:

تعددت ألقاب الحلاج ، ويبدو أنه كان يلقب فى كل مكان بلقب يروق لأهل هذا المكان أن ينادوه به ففى:

١ - الهند كان أهلها يلقبونه بالمغيث.

٢ - وأهل ماضين وتركستان يلقبونه بالمقيت.

٣ - بينما أهل خراسان لقبوه بالمميز.

٤ - وأهل فارس لقبوه بأبى عبدالله الزاهد.

٥ - وأهل خوزستان لقبوه بالشيخ حلاج الأسرار.

٦ - وفى بغداد لقب بالمصطلم.

٧ - وفى البصرة لقبوه بالمجيب.

وتدل كثرة الأسماء -كما هو معلوم- على شرف المسمى كما تدل على المكانة التى يحتلها فى قلوبهم ويتمتع بها عند مريديه ومحبيه وصفوته.

نُسِبَتْ للحلاج فرقة أطلق عليها الدارسون والمؤرخون اسم «الحلاجيّة» وقد ذكر

البغدادى فى كتابه[1] شيئا يسيرا عنها وعنه. ولكنه اهتم باختلاف الناس حوله من المتكلمين والفقهاء والصوفية ولم يفنِّد مذهب هذه المدرسة أو هذه الفرقة، غير أنه علق على ما يقوله البعض حول فكرة الحلول التى امتلأت بها بطون الكتب، وهى فكرة لم يشرح أحد منهم المعنى وراء هذه الأفكار لكنهم توقفوا جميعا عند الظاهر منها.

فى هذه اللحظة لابد أن أشير سريعا إلى كتاب «مفتاح الكنوز وحل الرموز» لقاضى القضاة «العز بن عبدالسلام» الذى شرح فيه أحوال الصوفية ومتقلبهم فى طرح الألفاظ يقول: فأما أهل التمكين فإنهم علموا وكتموا ما علموا لما يعلمون من ضعف احتمال عقول أطفال العقول، فلهذا إن الحلاج لمّا علم شيئا من هذا العلم وتفوّه به أبيح دمه، وكان خطؤه من حيث إظهاره ما يكتم، وإعلانه بما يسر.

وسأعود مرة أخرى لشرح بعض الألفاظ على لسان الشيخ الفاضل العز بن عبدالسلام.

وفى تسميته بالحلاج أقوال كثيرة بعضها مبالغ فيه -فيما أعتقد- والبعض الآخر يحتاج إلى تدقيق فى البحث، ومع هذا فإننى سأورد بعض هذه الأقوال معلقا عليها:

أولا: كونه سمى بحلاج الأسرار لكشفه عن أسرار الموحدين ثم غلب عليه هذا الاسم.

كل المصادر -تقريبا- لا تختلف حول هذا السبب، وإنما يوردونه من باب الاحتمال.

وسأقف هنا لأن هذا الاسم أو هذا اللقب الذى يكاد يحل محل الاسم من هذه

---

(١) البغدادى: الفَرْق بين الفِرَق ص٢٧٩

وحول هذه الفرقة التى أسموها بالحلاجية يقول الهجويرى فى كتاب (كشف المحجوب): [وقد رأيت فى بغداد وحواليها كثيراً من أهل الزندقة يدّعون الانتساب للحلاج، ويجعلون أقواله دليلاً على زندقتهم، ويُسُّمون أنفسهم (الحلاّجية) وهم يتكلمون عنه بنفس الغُلوّ الذى تكلم به الرافضة عن الإمام علىّ «كرم الله وجهه»] ثم قال الهجويرى: [وفى النهاية إنه لا يلزمك أن تجعل كلام الحلاج دليلا على مكانته، حيث إنه كان مغلوباً عليه] أى بسكره أنظر كشف المحجوب ١٨١، ٣١١.

الناحـية بالذات -ناحـية كشـف الأسرار- لم يصل وحـده لهذه الدرجـة، درجة التغلب على الاسم وإنما فى يقينى أنه أتى من أن الحسين بن منصور الحلاج وهو لقب والده الذى كـان يعـمل فى حلج الـقطن كـما ذكـر المستـشـرق الفـرنسى «ماسينيـون» صاحب أكبر دراسات عن الحلاج، ومُـقَدِّمَهُ إلى أهله -للأسف- أى أول من كشف لنا عن عظمة هذه الشخصية فى تراثنا. ذلك أننا قوم لم نعرف، أو لم نتعود على المخالفة أو الخلاف فى الرأى.

وقد ساق «طه عبدالباقى سرور» فى كتابه الحلاج: شهيـد التصوف الإسلامى ص ٣٢ هذا الرأى: «ويقول المستشرق ماسينيـون: إن البقعة التى ولد فيها الحلاج كانت من أعظم منـاطق النسيج فى الإمبـراطورية الإسلاميـة، وإن والده كان من عمال النسيج وهو استنتاج فكرى من مـاسينيون لم يقم عليه من التاريخ شاهد أو دليل».

ومع وجاهة هذا المنطق وجاذبيـته فإنه ينقصه الدقة فى تحـديد الألفاظ ودلالتها فضلا عن أننى أميل لرأى ماسينيون للأسباب الآتية:

١ - أن مهنة الوالد «منصور» لصقت باسمـه فكان يسمى «منصور الحلاج» وقد لا يحتـاج هذا إلى أن تكون البقعـة من أعظم مناطق النسيج ولا غـيره، ولكن لأن عهدنـا بالتراث العربى غلبت مهن كـثيرة على أصحـابها دون أن تكون لهذه المهن شـأن يذكر مثل: ابن داية، وابن النجـار، وابن الملقن، واللبان، وغير ذلك من المهن المليئة بها كتب التراث العربى والملصقة بأصحابها لدرجة -كما قلت- إنها تحل محل الاسم فى كثير من الأحيان، أو تغلب عليه.

٢ - أن الحسـين بن منصور الحـلاج لما صادف اسمـه أو لقب والده -غلب المهنة عليه- ضـاهى الناس بين لفظ «الحلاج» فى الحقـيقة لأبيه، وبين تجـربته فى الكشف، واقتراب المعنيان من بعضهمـا البعض لما يؤديان من الفصل فى كثير من الرؤى والأمور الكشفـية والتجليات. وكـذلك الفصل بين الحَبِّ والقطن المندوف صنع ذلك نـوعا من الـتطابق أو التـداخل فى المفـاهيم أو التـرادف المطلوب فى كثير من الأحيان.

٣ - هل لأن الذى قال بغلبة المهنة مستـشرق وجب أن نخالفه فى الرأى دون إقامة الدليل القوى على عكس ما قال؟

لهذا أستطيع اختصار ما قُلْتُهُ مرة ثانية وهو: والد الحسين هو منصور الحلاج وهى مهنته، صادف ذلك أن أطلق على الحسين لفظ الحلاج وهو مهنة أبيه، أنه يكشف بعض الأسرار فغلب الاسم على الولد دون الوالد.

ثانيا: أنه -أى الحسين- سأل أحد الحلاجين للقطن أن يعينه فى عمل شىء له، فأشار إليه الرجل بانشغاله بحلج القطن، فقال له الحسين راجيا أن ينهى له ما يريده فاستجاب الرجل وغاب بعض الوقت عن الحلج فعاد فوجد القطن كله محلوجا. فتعجب الرجل من ذلك، فغلب عليه لفظ الحلاج. وقد أوردت كثير من المصادر نص هذا الرأى وعدته من كراماته. وإذا كنت سأعد هذا الرأى من الكرامات فما أقمت أى دليل وإنما يرد هذا الرأى عند كل المصادر أيضا من باب الاحتمال، وهو الرأى الذى وصفته بأنه مبالغ فيه.

ثالثا: أما الرأى الثالث والأخير فهو الذى ينسب التسمية التى تعود لعمل أبيه فى حلج القطن، وقد ناقشتها ضمن الرأى الأول لتداخل بينهما.

حج الحلاج ثلاث مرات

الأولى: كان يجلس فيها فى حرم البيت ليل نهار، لا يبارحه إلا للطهارة أوللطواف بقى سنة كاملة على هذا الحال حتى عاد إلى الأهواز.

الثانية: كان برفقته أربعمائة من أتباعه.

الثالثة: وكانت سنة ٢٩٠ هـ وقد بدأ نجمه فى اللّمعان، وهى آخر مرة لأنه عاد بعدها فأقام كعبة فى صحن بيته مما دفع بالمهاجمين له إلى حومة الوغى، فتكرر هروبه بعد ذلك، وقررت السلطات سجنه بعد القبض عليه فى عام ٣٠١ هـ لولا رأى القاضى ابن سريج.

طرح عدد من المفكرين والدارسين لشخصية الحلاج آراء مهمة حول تجربته الصوفية وعلاقتها بالأفكار السياسية فى عصرها، وكان التساؤل المطروح: هل كان الحلاج داعيا من دعاة الفاطميين؟ وهل مهاجمة الصوفية له بناء على هذه الدعوة؟

ناقش هذه الأفكار بذكاء كتاب «الحلاج: فى ما وراء المعنى والخط واللون» تأليف سامى مكارم.

وقد قـرر فى هذه المناقشة أن الأدلة التـى تثبت غيـر كافيـة وكذلك الأدلة التى تنفى غير كافية انظر ص ٢١، ٢٢.

ذكرت بعض المصـادر مثل «وفيات الأعـيان»(١) أن الحـلاج كان يبـرز الأفكار «الوجه» الشيعى أمـام السلطة ويبرز الجانب الصوفى أمام العـامة وهى فكرة تحتاج إلى دراسة خاصة لكل أفكار الحلاج وأظنها سـتكون دراسة ناقصة، وأسباب ذلك حرق كل كتب الحلاج، والتى لم يتبق منهـا سوى كتاب الطواسين، وديوانه. أما بعض الآثار المنقولة التى قام بتـجميعهـا ماسينيون أو غيره إنما هى أخـبار حوله لا تقوى بأى حـال على إقامة الدليل الفـكرى الأساسى لآرائه وأفكاره لأنها ببـساطة آراء عنه وليست له، ومعظمها مبالغ فيه إلى حد كبير.

عد السُّلَمى فى كتابه الهام: «طبـقات الصوفية»(٢) الحلاج من الطبقـة الثالثة، وجاءت ترجـمتـه تحت رقم ١٣ فى هذه الطبقـة. وقد قسم السُّلَمـى الكتاب إلى خمس طبقات فى كل طبقة عشرون شيـخا من أكابر الصوفية كانوا فى زمان واحد قـريب بعضـهم إلى بعض فى التـرتيب التـاريخى. توفى أبوالقـاسم الجنيـد سنة ٢٩٨(٣) هـ وهو ينفى ما ذكرتـه بعض المصادر أن الجنيد شهد مـقتل الحلاج الذى قتل سنة ٣٠٩ هـ كما أسلفت وكذلك أشير إلى ما ذكرته هذه القصة وأن اعتمادها على هذا الموقف من أن الجنيد قـذف الحلاج بوردة فى يده بينما الكل كـان يرجمه رجما بـالحجارة فلم تؤثر سوى وردة الشـيخ الجنيد فيه، وأذكـر للقارئ الفطن أن القصة أقامت هذا الموقف على الخيال وحـده وليس له أية علاقة بموقف مشابه فى الحقيقة.

روى «أحمد بن مـردويه» أنه رأى الحلاج يصيح بسـوق القطيعة ببغـداد باكيا، وهو يقول: «أيها الناس أغيثونى عن الله، فإنه اختطفنى منى، وليس يردنى علىّ،

(١) أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان الجزء الأول الترجمة رقم (١٨١).

(٢) أنظر: السلمى: طبقات الصوفية صـ٣٠٧.

(٣) أنظر: ترجمة الإمام الجنيد فى هذا الكتاب وانظر مصادر ترجمته.

ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة، وأخاف الهجران فأكون غائبا محروما، والويل لمن يغيب بعد الحضور ويهجر بعد الوصل فبكى الناس لبكائه»[١].

«بداية قصة الحلاج داخل هذا الكتاب».

يقول ابن عربى عن الحلاج[٢] **(الظاهرون بأمر الله عن أمر الله)**.

فاعلم أن الظاهرين بأمر الله لا يرون سوى الله فى الأكوان وأن الأكوان عندهم هى مظاهر الحق، فهم أهل علانية وجهر، وكل طبقة فعاشقة بمقامها تَذُبُّ عنه، ولهذا لا تعرف منزلة مقامها من المقامات حتى تفارقه، فإذا نظرت إليه نظر الأجنبى المفارق حينئذ تعرفه فقبل أن تحصل فيه يكون معلوما لها من حيث الجملة، وترى عُلوّ منصبه فإذا دخلت فيه كان ذوقا لها وشُربا، فيحجبها كونها فيه عن التمييز، فإذا ارتقت عنه نظرت إليه بعد ذوق، فكانت عارفة بقدره بين المقامات ومرتبته. فيقبل كلام هذا الشخص فيه لأنه تكلم عن ذوق وكان شهوده إياه عن صحو، فتقبل شهادته لذلك المقام وعليه. كما قبلنا شهادة الشبلى وقوله فى الحلاج، ولم نقبل قول الحلاج فى نفسه ولا فى الشبلى لأن الحلاج سكران، والشبلى صاح».

وأورد العز بن عبدالسلام[٣] قال: وقد روى أنه لمّا أتى به -أى الحلاج- ليصلب فرأى الخشب والمسامير فضحك ضحكا كثيرا ثم نظر فى الجماعة، فرأى الشبلى فقال: يا أبا بكر أمعك سجادة؟ قال: بلى. قال: فافرشها لى. ففرشها. فتقدم وصلى. فقرأ فى الأولى الفاتحة وبعدها ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥] ثم ذكر أشياء فكان ما حفظ عنه: **(اللهم بحق قيامك بحقى، وبحق قيامى بحقك وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى، لأن قيامى بحقك ناسوتية، وقيامك بحقى لاهوتية. مع أن ناسوتيتى مستهلكة فى لاهوتيتك، غير ممازجة إيّاها، ولاهوتيتك مستولية على ناسوتيتى غير مماثلة لها، أسألك أن توفقنى لشكر هذه النعمة التى أنعمت**

(١) أنظر: أخبار الحلاج بتحقيقنا. المكتبة الأزهرية للتراث، وأنظر أخبار الحلاج بتحقيق ما سينون أرقام الفقرات متقارب. وأنظر سامى مكارم: الحلاج فيما وراء اللون والمعنى والخط.

(٢) ابن عربى: الفتوحات المكية: جـ١١ فقرة (٣١٠) من طبعة الهيئة العامة للكتاب.

(٣) أنظر: العز بن عبدالسلام: (حل الرموز ومفتاح الكنوز) أو خلاصة زُبَد التصوف كما يطلقون عليه صـ٧٥.

بهـا على، حيث كـشفت لى عن مطالع وجـهك وحرمت على غـيرى مـا أبحت لى من النظر فى مكنونات سرّك، وهؤلاء عبادك قد اجتمـعوا لقتلى تعصبا لدينك وتقربا إليك، فاغفر لهم فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لى ما فعلوا. ولو سترت عنى ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتـليت.. فلك الحمـد فـيمـا تفـعل، ولك الحمـد فـيمـا تريد). ثم تقـدم أبوالحارث السـيّـاف ولطمه لطمة هشّم وجهه وأنفـه، فصاح الشبلى ومزّق جـبته، وغشى عليه.

وهذه الرواية توردها مـصادر كثـيرة توضـح بها مـدى صدق الحـلاج فى دعواه حتى اللحظة الأخيرة قـبل القتل يطلب السجادة ليصلى ويدعو لقـاتليه وسأتحدث فيما بعـد عن هذه المحاكمة الظالمة التي أدت إلى قتله وحـرقه وذر رماده فى دجلة والفرات.

محاكمة الحلاج

بعد فتوى القاضى الشافعى العادل «ابن سُريج»[1] بأن أمر الحلاج لا يصل به، بأى حال، إلى إعدامه قائلا:

«إن آراء الحلاج فى العقيدة ليست من اختصاص المحاكم الشرعية».

وقد ضرب هذا القاضى مضرب الأمثال بفتواه فى الحكمة والدقة والنزاهة فى الرأى. ومع هذا فإن المؤامرات ظلت تحاك ضد الحلاج منذ قيل هذا الرأى سنة ٣٠١هـ. من خصومه مدعّى الطريق الصوفى، والفقهاء، وبعض السياسيين حتى تولى كِبرَ هذا الأمر الوزير «حامد بن العباس»[2] الذى خاف على منصبه وما يحققه من ورائه من أطماع، فاتهم الحلاج بأنه يثير القلق ويقلّب الناس ضد السلطة بآرائه وأفكاره ودفعه هذا الأمر بأن يطلب من الخليفة إعدام الحلاج لأن فى إعدامه إصلاح لحال المسلمين[3].

«ثم إن حامد بن العباس أحضر القاضى «أبا عمر الحمادى»، والقاضى أبا جعفر ابن البهلول، وجماعة من الفقهاء والشهود واستفتاهم فى قتل الحلاج فانقسموا إلى موافق ومعترض.

---

(١) ابن سُريج: هو أحمد بن عمر بن سُريج، البغدادى، الشافعى (أبو العباس) القاضى، القدوة صاحب المؤلفات الكثيرة، فقيه العراقيين ولد سنة ٢٤٩ هـ وتوفى ببغداد سنة ٣٠٦ هـ، ما رضى بقتل الحلاج وكان يقول: (أنا لا أعرف ما يقول) وكان إذا تكلم فى الأصول والفروع تعجب من كلامه أهل المجلس فيسألونه فيقول: من بركة مجالسة أبى القاسم الجنيد، رحمه الله.

انظر ترجمته فى: الذهبى: تذكرة الحفاظ ٣/ ٨١١ ترجمة رقم ٧٩٨، الخطيب: تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧، السبكى: طبقات الشافعية ٢/ ٨٧. السلمى: طبقات الصوفية ٣٦٠، كحالة: معجم المؤلفين ٢/ ٣١، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٤٧، الجامى: نفحات الأنس ٥١٩.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) انظر: سامى مكارم كتاب: (الحلاج فيما وراء اللون والخط والمعنى) ص ٤٨.

وكانت حجةً المعترضين: أن لا يجوز قبول أى قولٍ إلاّ ببيّنة أو بإقرار من المتهم.

وأوضح «ابن البهلول» لحامد اعتراضه على إعدام الحلاج: «إلاّ أن يُقِرَّ بأنه يعتقد هذا، لأن الناس قد يروون الكفر ولا يعتقدونه فإن أخبر أن هذا شىء رواه وهو يكذّب فيه، فلا شىء عليه وإن أخبر أنه يعتقده استتب منه، فإن تاب فلا شىء عليه وإن لم يتب وجب عليه القتل».

أمّا «أبو عمر الحمادى» فأفتى بقتله لأن الزنديق لا يُستتاب» لأن المالكية لا (لايجيزون) توبة الزنديق.

غير أن هذا الخلاف فى الرأى لم يفت فى عضد الوزير «حامد بن العباس» ودبر له، وأحاله إلى المحاكمة.

هيئة المحكمة

أُلِّفَتْ هيئة المحكمة من القاضى المالكى أبى عمر الحمادى رئيساً وتم إقصاء القاضى الحنفى «أبو جعفر بن البهلول» الذى اعترض من قبل على إعدام الحلاج وعيِّن مكانه قاض حنفى آخر هو «أبو الحسين عمر بن الأشنانى» الذى كان قد قدم من الشام ليخلف ابن البهلول فى منصبه. وحضر المحكمة رئيس الشهود القاضى «عبد الله بن مكرم» ولم يسمح الوزير حامد بن العباس بوجود قاضى شافعى خشية ألا يفعل مثلما بعل القاضى الشافعى ابن سريج قبلا.

أما الحنابلة فإنهم أُقصوا تماماً عن حضور المحاكمة نظرا لعدائهم السافر للدولة وتعاطفهم مع الحلاج بعد موت ابن عطاء الذى عذّبه الوزير حامد بن العباس لوقوفه بجانب الحلاج.

وكانت تهمة الحلاج التى غنى بها الوزير «حامد بن العباس» فكرة الحج والكعبة التى أقامها الحلاج فى بيته كما ورد فى أدلة الاتهام وهى كالتالى:

«قيل أنه فى أحد مؤلفات الحلاج: إن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه ذلك، له أن يفرد فى داره مكانا مطهّراً ينصب فيه ما يشبه الكعبة فيطوف حوله كما لو كان

فى مكة. ثم يجمع ثلاثين يتيما ويكرمهم بالطعام ويخدمهم بنفسه ويغسل أيديهم. ويكسو كُلاً منهم قميصا ويدفع إليه سبعة دراهم» ولما سأل القاضى أبو عمر الحمادى الحلاج عن مصدر ذلك أجابه الحلاج أنه قرأه فى كتاب «الإخلاص» للحسن البصرى. فأنكر أبو عمر وجود ذلك فى الكتاب»[١].

يقول «سامى مكارم»[٢]:

واعترض الحلاج على الحكم واضعا القضاة أمام تبعتهم وهو يصرخ فيهم: **«ظهرى حمى، ودمي حرام، ولا يحل لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحه الدين واعتقادى الإسلام ومذهبي السنّة وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ.. ولى كتب فى السنّة موجودة عند الورّاقين فالله الله فى دمى».**

وفوجىء كثيرون بالحكم بإعدامه وتم فعلا الإعدام في الثالث والعشرين من ذى القعدة سنة ٣٠٩هـ وكانت الشرطة قد اتخذت حيطتها كاملة خشية أن يُنتزع الحلاج من بين يدى أصحاب الحكم. وخشية أن يقوم الناس بثورة وتروى فى مقتله حكايات بعضها مبالغ فيه وبعضها يمكن قبول شأن هذه الحكايات شأن صاحبها الذى يكاد يصل إلى معنى الشخصية الاسطورية التى ربما يخيلها الإنسان ولا يثق تمام الثقة أنها يمكن أن توجد فى الواقع بهذه الطريقة.

حقا تستحق شخصية الحلاج دراسات ودراسات من الباحثين ولعلى أكون قد قدّمت إلى المكتبة العربية عملا يضيف إليها الكثير، ويحقق للقارىء والباحث عن الحقيقة بعضا مما تصبو إليه نفسه ونظرة واحدة على مؤلفاته تعين على فهم «كم كان خطره على من قتلوه؟

المحقق

---

(١) انظر مناقشات ذلك فى النويرى: نهاية الأرب ٢٣/ ٦٠، سامى مكارم: الحلاج فى ما وراء المعنى والخط واللون ٥٠، طه عبد الباقي سرور: الحلاج شهيد التصوف الإسلامى ١٢٠.

(٢) المصدر السابق إشارته نفس الصفحة.

مؤلفات الحلاج

من المعلوم أن كل مـولفات الحـلاج التى قد تصل إلى خـمـسين مـؤلفـاً قد تم حرقها عدا «الطواسين» و«الديوان» ومع هذا تصر كـثير من المصادر علي ذكر عدد مؤلفاته وتتراوح نسبة ذكرها ما بين ٤٢ مؤلفاً إلى خمسين مؤلفاً.

وذكر الدكتور على الخطيب[(١)] فى رسالته:

«ومما يؤسف ويؤسى له أن الزمن قد اغتال كل هذه الكنوز الثمينة التى لو بقيت لأفـادت العالم الإسـلامى علماؤه وأدبـاؤه. . . . وما أودع فـيهـا من معلومـات وخواطر لها قدرها لصدورها عن مثل الحلاج».

أما عن الطواسين فأول مـا حققه هو المسـتـشرق الفرنسى لويس ماسـينيون وقد نشر بباريس بخط جميل جداً سنة١٩١٣.

والديوان قام بجـمعه وتحقـيقه الدكتـور كامل مصطفى الشـيبى أستاذ الفلسـفة بجامعـة بغداد ووضع عنوانات له وهو مرتب حسب القوافى فـيبدأ بقافيـة الهمزة والألف ثم الباء. . إلخ ثم يختـتم الديوان بأشعار نـسبت إلى الحـلاج، وجعل لها بابا خاصاً أسماه: أشعار نـسبت إلى الحلاج»[(٢)].

أما عن مؤلفات الحـلاج الأخرى فقد وردت فى عدد كثيـر من المصادر سأذكر منها:

١- بستان المعرفة.

٢- تفسير سورة الإخلاص

---

(١) دكتـور على الخطيب: كتاب (اتجـاهات الأدب الصوفى بين الحـلاج وابن عربى) رسالة دكـتوراه وطبعت بدار المعارف بمصر انظر ص ٢٠٩.

(٢) انظر نـسخة الديوان المجمـوعة بخط يد جميل مشكول (الطبعة الثـانية بخط الخطاط الحاج يحيى سلوم العباسى) وطبع بالأوفـسـت على مطابع دار آفاق عربية بغداد ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.

٣- كتاب الأبد.

٤- كتاب الأحرف المحدثة والأزلية والأسماء الكلية.

٥- كتاب الأنسال.

٦- كتاب التوحيد.

٧- الجيم الأصغر.

٨- الجيم الأكبر.

٩- جمل النور والحياة والأرواح.

١٠- خزائن الخيرات.

١١- خلق الإنسان والبيان.

١٢- خلق خلائق القرآن والاعتبار.

١٣- الدرة إلى نصر القشورى.

١٤- الذاريات ذروا

١٥- سر العالم والمبعوث.

١٦- السمرى وجوابه.

١٧- السياسة إلى حسين بن حمدان.

١٨- السياسة والخلفاء والأمراء.

١٩- شخص الظلمات.

٢٠- الصدق والإخلاص.

٢١- الصلاة والصلوات.

٢٢- الصهيوز.

٢٣- الطواسين.

٢٤- الشجرة الزيتونة النورانية.

٢٥- الظل الممدود.

٢٦- الحياة الباقية.

٢٧- العدل والتوحيد.

٢٨- علم البقاء والفناء.

٢٩- كتاب (إن الذى فرض عليك القـرآن لرادك إلى معاد) وهو آية رقم (٨٥) من سورة القصص.

٣٠- قرآن القرآن والفرقان.

٣١- القيامة والقيامات.

٣٢- الكبر والعظمة.

٣٣- الكبريت الأحمر.

٣٤- كيد الشيطان وأمر السلطان.

٣٥- كيف كان وكيف يكون.

٣٦- لا كيف.

٣٧- المتجليات.

٣٨- مواجيد العارفين.

٣٩- والنجم إذا هوى.

٤٠- نور النور.

٤١- الوجود والأزل.

٤٢- هو هو.

٤٣- اليقين.

٤٤- اليقظة وبدء الخلق.

٤٥- الوجود الثانى.

٤٦- مدح النبى والمثل الأعلى.

٤٧- الأصول والفروع [١].

وغير ذلك من المؤلفات التى عادة ما تذكر ويذكر معها الرثاء على هذا التراث الجم، الذى أصبح العثور على شيء منه ضربا من العبث الذى لا طائل من ورائه. وأظنه لن يتحقق بسبب بسيط ذكره ابن النديم فى الفهرست قال:

«وحرقت كتب الحلاج، وأخذ من الورّاقين عهد بعدم تداولها وطاردت الدولة أنصاره، وقتلت عدداً منهم».

وفى هذه العبارات ما فيها، يقول الدكتور علي الخطيب «وإذا كان هذا قد تحقق لهم ظاهريا فى عصرهم وأيام حكمهم وسلطانهم فإن الحلاج فى نظرنا حياً بفكره وصوفيته وروحانيته..».

وإطلالة على بعض المصادر التي تحدثت عن الحلاج، لابد وأن يستقر فى الأذهان كم هو باق حتى اليوم.

(١) انظر ما زوردناه فى مقدمة كتاب (أخبار الحلاج) بتحقيقنا فقد أوردنا عدداً من المؤلفات، ومواضع وجودها فى العالم مخطوطة ومطبوعة، الكتاب طبعة المكتبة الأزهرية للتراث سنة ٢٠٠٠م.

مصادر ترجمة الحلاج

قال صاحب معجم المؤلفين الجزء ٤/ ٦٣ عدداً من المؤلفات، التى تحدثت عن الحلاج وأضفت إليها عددا آخر:

١- سير النبلاء للذهبى.

٢- كنوز الأولياء ١٢٤/٢، ٢/١٢٧.

٣- الطبقات الكبرى للشعرانى.

٤- التذكرة: طاهر الجزائرى ٤٨/٢، ٢/٤٩.

٥- فهرس المخطوطات الظاهرية بدمشق.

٦- طبقات الأولياء (لابن الملقن) ١٦/ ٢/ ١٧/ ١

٧- طبقات الصوفية ٣٠٧ السلمى تحقيق نور الدين شريبة.

٨- كشف المحجوب للهجويرى ١٧٨.

٩- نشوار المحاضرة للتنوخى جـ١/ ١٦٤.

١٠- وفيات الأعيان ٢/ ١٤٤.

١١- ذكر مقتل الحلاج ابن زنجى.

١٢- أخبار الحلاج لويس ماسينيون.

١٣- الكامل فى التاريخ ابن الأثير ٨/ ٤٠.

١٤- تجارب الأمم: لابن مسكوية ١/ ٨٠.

١٥- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادى ٨/ ١١٢، ١٤١.

١٦- المنتظم: لسبط ابن الجوزى ٦/ ١٦٣، ١٦٤.

١٧- ديوان الحلاج ط بغداد د. كامل مصطفى الشيبى.

١٨- شخصيات قلقة فى الإسلام ترجمة د. عبدالرحمن بدوى.

١٩- التنبيه والإشراف: للمسعودى٣٨٧.

٢٠- الفهرست: لابن النديم ١/ ١٩٠، ١٩٢.

٢١- روضات الجنات: الخوانسارى ٢٢٦, ٢٣٧.

٢٢- البداية والنهاية: ابن كثير ١١/ ١٣٢, ١٤٤.

٢٣- تاريخ القرطبى ٤٥, ٥٥.

٢٤- لسان الميزان: ابن حجر ٢/ ٣١٤، ٣١٥.

٢٥- المختصر فى أخبار البشر ٢/ ٧٥.

٢٦- مختصر دول الإسلام١/ ١٤٧.

٢٧- شذرات الذهب لابن العماد، ٢/ ٢٥٣، ٢٥٨.

٢٨- مرآة الجنان لليافعى٢/ ٢٥٣/ ٢٦١.

٢٩- أخبار الحلاج: عبدالحفيظ هاشم.

٣٠- Brokle man -gi: 199 21 p. 355 - 357.

٣١- اتجاهات الأدب الصوفى بين الحلاج وابن عربى د. على الخطيب.

٣٢- الحلاج: شهيد التصوف الإسلامى طه عبدالباقى سرور.

٣٢- الحلاج: الثائر الروحى د. محمد جلال شرف.

٣٤- الحلاج: فى ما وراء اللون والخط والمعنى: سامى مكارم.

٣٥- الفرق بين الفرق للبغدادى.

٣٦- الفتوحات المكية: محيى الدين بن عربى.

٣٧- مفاتيح الكنور وحل الرموز: العز بن عبدالسلام.

٣٨- الرسالة القشيرية: أبو القاسم القشيرى.

وعدد كبير من المؤلفات عددتها هنا لأسباب خاصة تتعلق بالحلاج إذ أن أخباره تجمع من كل كتاب.

مخطوطة الكتاب

هذه النسخة هى الوحيدة فى العالم محفوظة بمكتبة طلعت الملحقة بدار الكتب المصرية بالقاهرة وهى تحت رقم (٤٨٩٦ أدب طلعت) ومكتوبة بخط سنة ١١٩٩ هـ ٣٦ ورقة، من ورقه ١ إلى ورقه ١٨ رسالة بعنوان [تهذيب الكلام فى ترتيب السلام] فى نحو من عشرين بابا فى تفسير السلام وبيان فضله، وفائدته، والرد، والابتداء به. . إلخ تضمن أشعاراً قيلت فى السلام.

أما من ورقة ١٩ إلى ورقة ٣٢ فهى (قصة الحلاج) التى بين يديك وبعض الأشعار من ورقة (٣٢ ب) ليس لها علاقة بأىٍ من الرسالتين غير أن ناسخ هذه النسخة وجد فرصة لإضافتها، ربما كانت هذه الأشعار لمؤلف رسالة [تهذيب الكلام فى ترتيب السلام] كما أنه أضاف بعض الأشعار بعد نهاية هذه الرسالة أى ورقة (١٨ ب).

* المخطوطة مبين عليها زمن النسخ (١١٩٩هـ) وكذلك رسالة [تهذيب الكلام].

وكما هو موضح زمن النسخ فى نهاية قصة الحلاج قائلا:

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الجمعة عشرة أيام خلت من شهر شعبان المبارك الذى هو من شهور سنة تسعة وتسعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هكذا سجل الناسخ زمن النسخ، ولعل لفظ الفراغ هنا قد يوحى بأنه الفراغ من التأليف -أى تأليف القصة وهنا لابد أن أقول لا. . لا.

وإلا ما قال:

وهذا ما انتهى إلينا من قصة الحلاج. . . إلخ

* ثم ذكر الناسخ اسمه قائلا:

قد تمت على يد عبده الفقير المعترف بالذنب والتقصير عيد خليل السكرى الحنفى مذهبا النقشبندى طريقه. عامله الله بلطفه الخفى.. ولطف به فى جميع أموره. ورحم أسلافه، وجميع أمة محمد ﷺ برحمته وهو أرحم الراحمين.

آمين... أمين... أمين.

هكذا لم يذكر هنا الناسخ مع ذكر اسمه أية إضافة تشير إلى زمن آخر مما يؤكد أن الزمن الأول هو الفراغ من النسخ.

* المخطوطة كتبت بخط معتاد، ويقرأ فى بعض المواضع بصعوبة بالغة.

* اعتمدت على صورة لها مصورة بالميكروفيلم تحت رقم (٢٠٣١٧).

* مسطرتها ٢٣ سطراً.

* عدد الكلمات فى السطر الواحد من ٩ - ١١ كلمة.

* حجم النسخة فى حجم الربع.

* تبدأ قصة الحلاج من ورقة (١٩ أ) بعد سطرين فقط أنهى بهما الناسخ بقية قصيدة شعر رديئة من ورقة (١٨ ب).

* يبدأ العنوان هكذا.

«هذه قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد وكيف قتلوه وصلبوه وحرقوه وهى على التمام ولاحولا (هكذا فى الأصل) ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

منهج التحقيق

بما أن هذه النسخة هى الوحيدة فى مكتبات العالم بعد رحلة بحث دؤوبة فى فهارس المخطوطات والكتب التى تشير إلى مواضع المخطوطات فى بعض بلدان العالم فإنى اعتمدت هذه النسخة لإخراج الكتاب وهى نسخة نادرة. وبقى أن أشير هنا إلى مشكلة هذه النسخة.

المشكلة الأساسية التى قابلتنى فى المخطوط عامة هى الفصحى والعامية، فالناسخ يصوغ اللفظ العامى كما هو لفظ (إجو) وغير ذلك ثم يدخل الصياغة الفصيحة بعد ذلك.

ومع احترازى الشديد لأن أنزل روح النص كما هى حتى لا يصاب بفقدان روحه الشعبية تركت النص على ما هو عيه وعلقت بالهامش على بعض الأخطاء اللغوية التى صادفتنى وإن كنت لم أتشجع لها كثيرا إلا أننى اضطررت لإضافتها والإشارة إليها وهى ليست كثيرة.

* ورد بالنص كثير من أسماء الزهاد والمتصوفة فقمت بترجمة كل الأسماء أو الأعلام الموجودة وذكرت نبذة يسيرة عن كل واحد منهم.

* علقت على بعض المواضع والأفكار -فى الهامش- والتى تأكدت أنها تحتاج إلى تعليق.

* شرحت بعض الألفاظ العامية والفصحى والتى توخيت أن أضيف للقارىء بعض المعلومات عنها.

* شرحت بعض المصطلحات الصوفية التى وردت داخل النص.

* لم أتدخل فى النص بأى حال وإن أردت شيئا أشرت إليه فى الهامش.

* قمت بعمل قراءة أدبية للنص توخيت تقديمها لتعيين بعض القراء على فتح الحوار وطرح الأسئلة ليستفيد النص بذلك.

* قدّمت أفكاراً هامة شملت حياة الحلاج الصوفية والتاريخية بعنوان [الحلاج تاريخ ومعالم] قصدت بها عنصر التجديد فى الحديث عن الحياة التاريخية نظراً لما لقيه منهج السرد العادى من جفاء.

* لم تكن هناك فهارس ختامية بالمعنى المتعارف عليه فى كتب التحقيق لذا لم تلزم إضافة فهارس فى نهاية الكتاب لأن المقام هنا مقام الإبداع والقص وليس مقام الدراسة العادية.

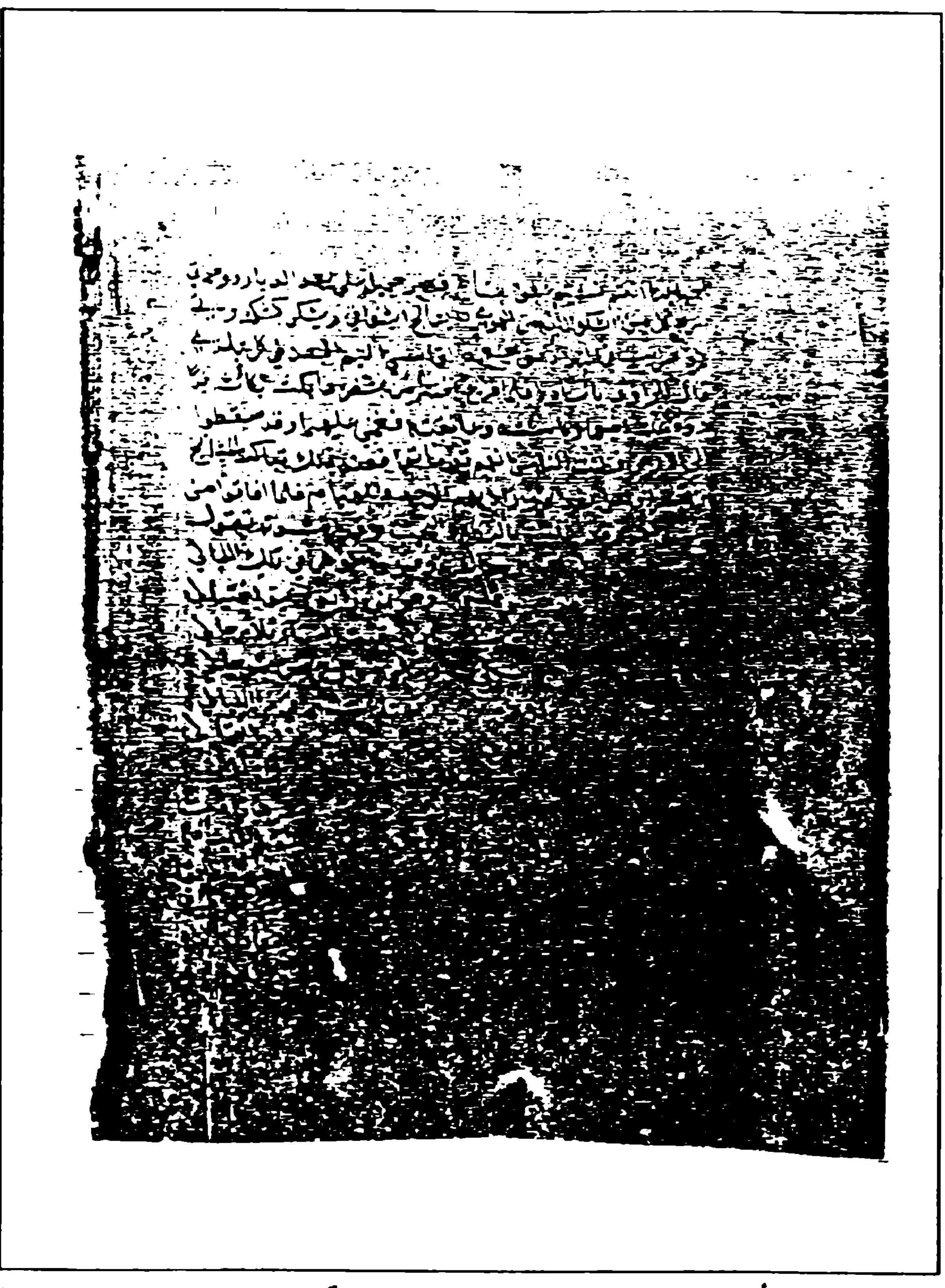
* أرجو أن يعفو القارىء عما سهوت عنه، وإنى أشهد الله أنى ما ادخرت وسعا لإخراج هذا الكتاب إلى النور فرحاً به. عايشته وقرأته مرات وإنى لأرجو أن أثاب منه وحده لقاء تقديمه للمكتبة وللقارىء وللباحث عن الحقيقة.

المحقق

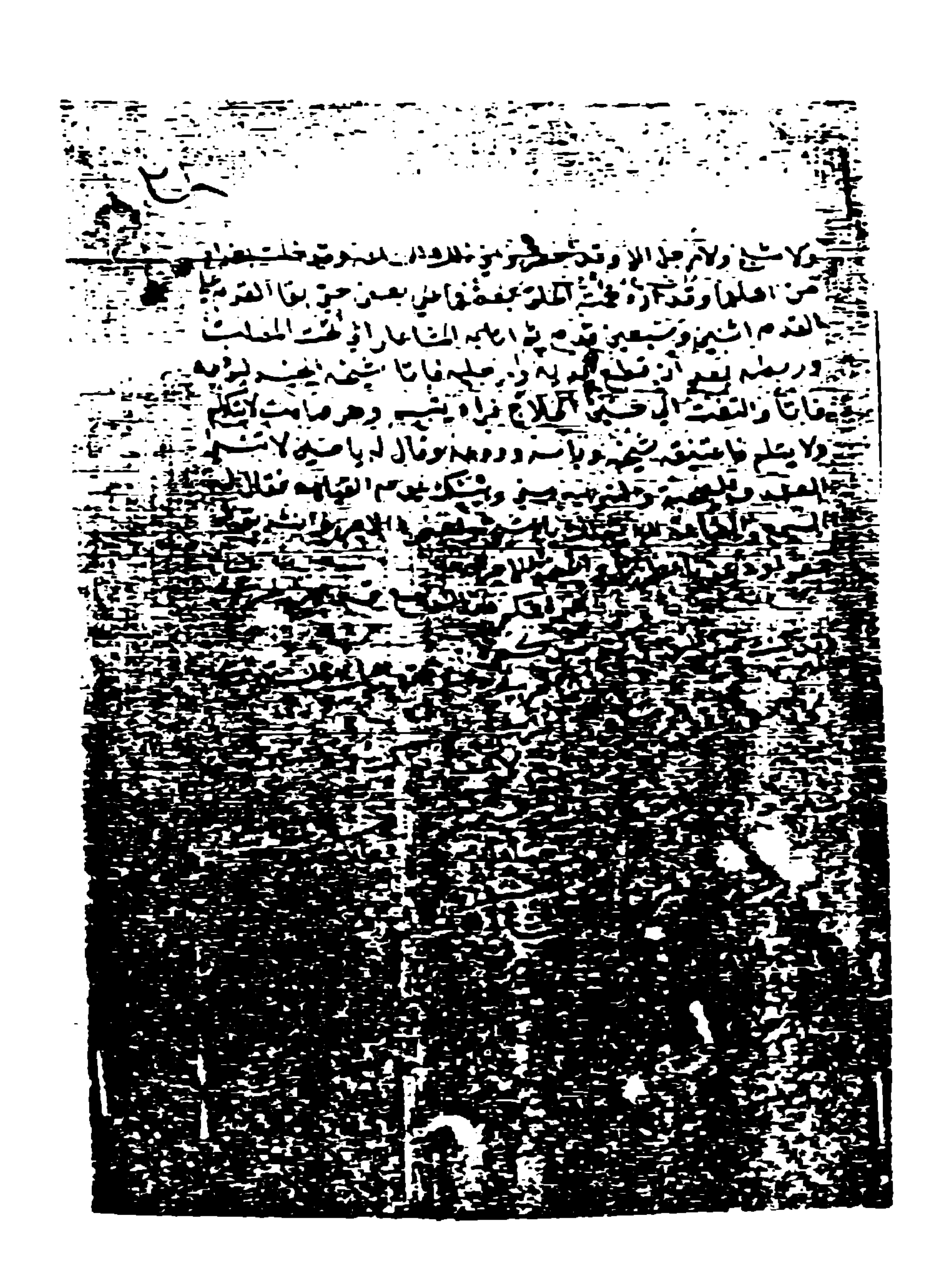
نماذج من صور المخطوطة
الوحيدة تبين حالها وأهميتها

ص ١٩ (أ) وهي الصفحة الأولي من المخطوط

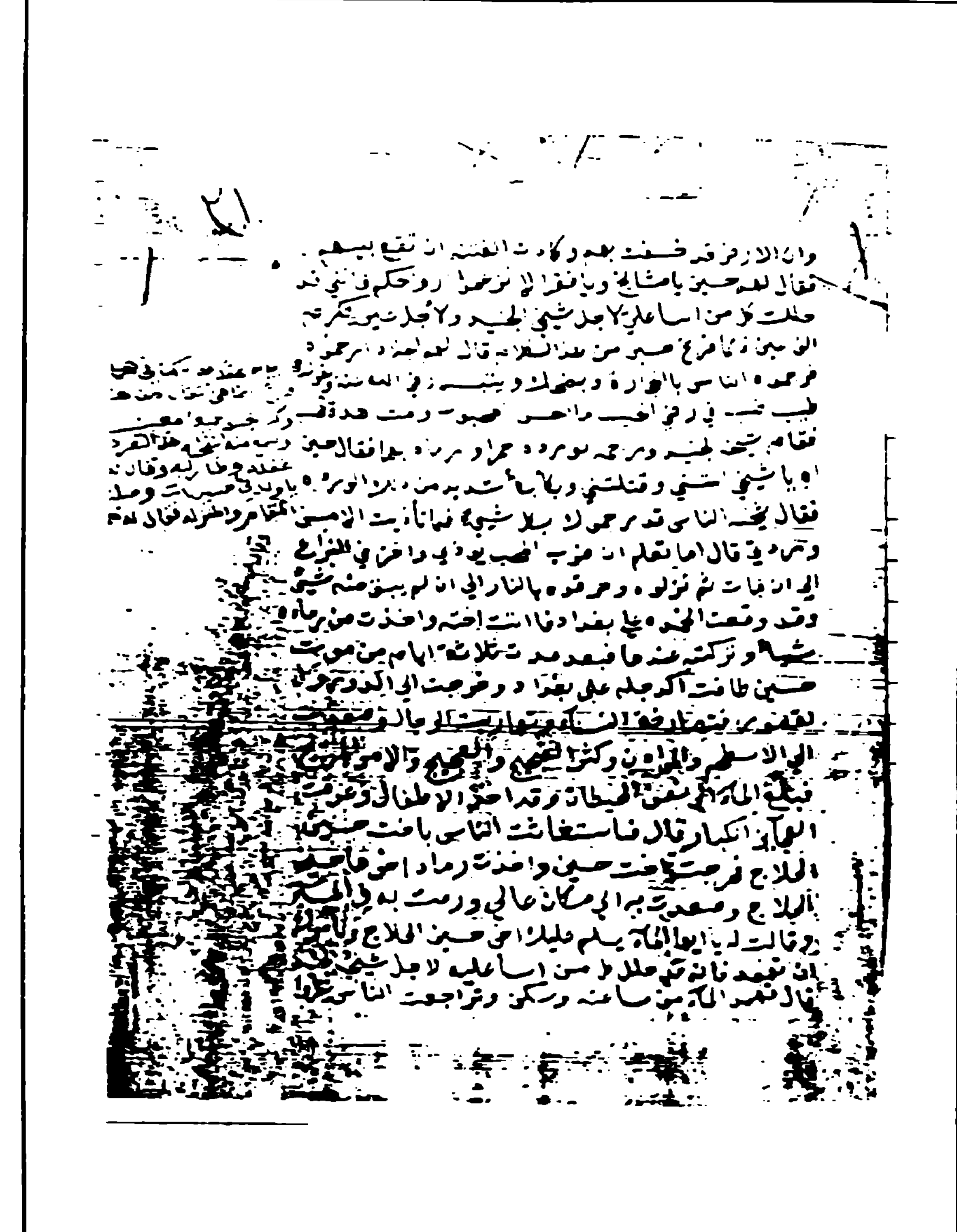
الصفحة الثانية من المخطوط



الصفحة (٣٠أ) من المخطوط توضح عيب عملية التصوير التي عانينا منها

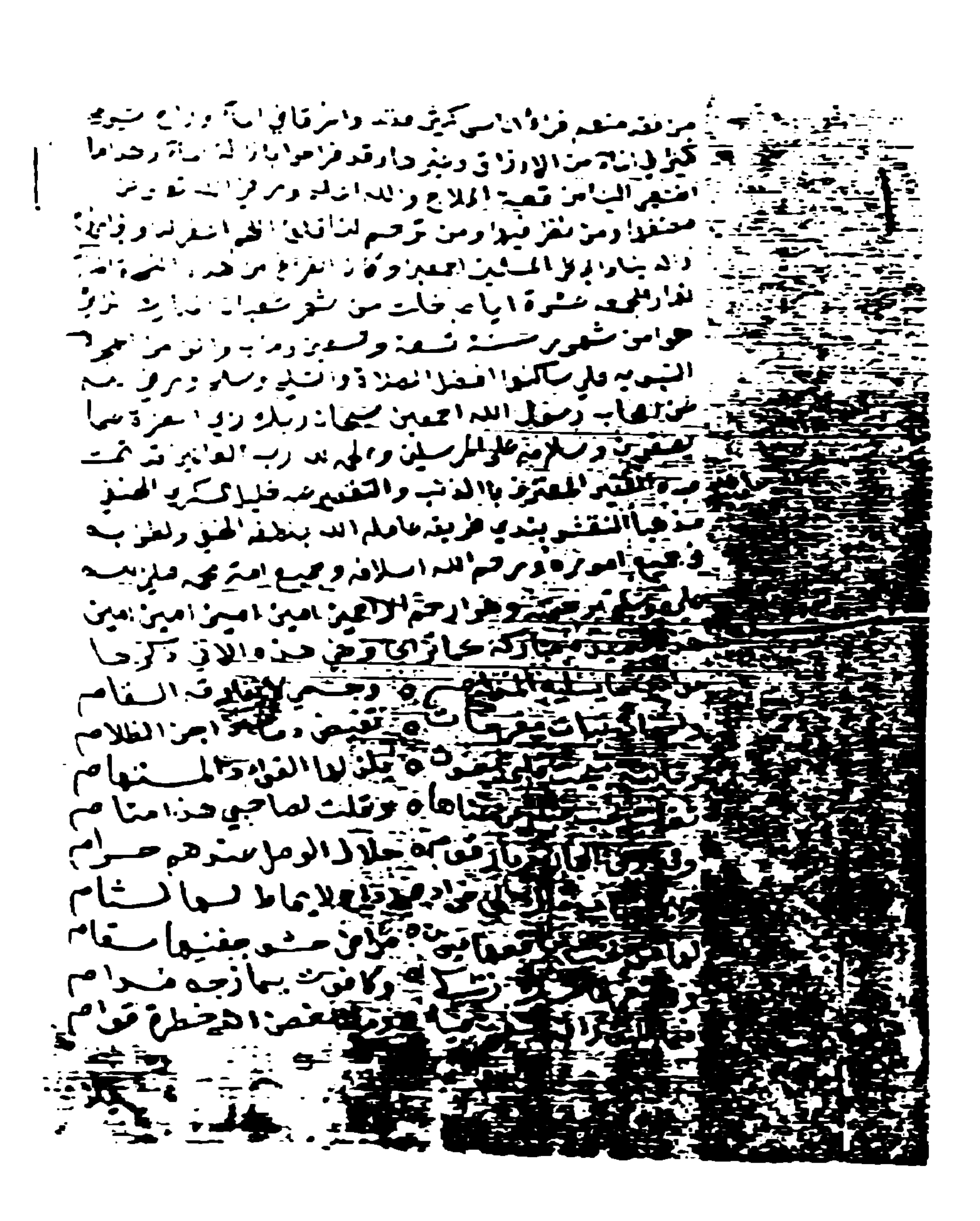


الصفحة (٣٠ب) من المخطوط



وان الارض قد خسفت بهم وكادت الفتنة ان تقع بينهم
فقال للحسين يا مشايخ ويا فقراء لا تزعجوا روحكم فاني قد
حللت كل من اساء علي لاجل شيخي الجنيد ولاجل [illegible]
[illegible]
[illegible] الناس بالحجارة [illegible]
[illegible]
فقام الشيخ الجنيد [illegible]
يا شيخي [illegible] وقتلتني [illegible]
فقال الشيخ الناس قد رجموك بلا شيء [illegible]
[illegible] قال اما تعلم ان [illegible]
الى ان [illegible] ثم نزلوه وحرقوه بالنار الى ان لم يبق منه شيء
وقد وقعت [illegible] في بغداد فاتت اخته واخذت من رماده
شيئا وتركته عندها فبعد مدة ثلاثة ايام من موت
حسين طافت الدجلة على بغداد وخرجت الى [illegible]
[illegible]
الى الاسطح والجدران وكثر الضجيج والعجيج والامواج
فبلغ الماء الى سقف الحيطان وقد [illegible] الاطفال وغرقت
[illegible] الكبار قال فاستغاثت الناس باخت حسين
الحلاج فرجعت اخت حسين واخذت رماد اخيها [illegible]
الحلاج وصعدت به الى مكان عالي ورمت به في البحر
وقالت يا ايها الماء [illegible] اخي حسين الحلاج [illegible]
ان [illegible] من اساء عليه لاجل شيخه [illegible]
[illegible] ساعته وسكن وتراجعت الناس [illegible]

الصفحة قبل الأخيرة تدل على وجود هوامش وتعليقات



الصفحة الأخيرة من قصة الحلاج المخطوطة

نَصُّ كتاب

قصة الحلاج

وما جرى له مع أهل بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ذكروا، والله أعلم بغيبه وأحكم، وأعز وأرحم، فيما مضى وتقدم، وسلف من أحاديث الأمم:

أنه كان فى قديم الزمان، وسالف العصر والأوان. فى مدينة بغداد على زمان الشيخ «الجنيد»[1]، رحمه الله تعالى إمرأة صالحة لم ترزق ولدًا ذكرًا. فنذرت لله تعالى: إن وضعت ولدًا ذكرًا تجعله خادمًا للفقراء، ونوهبه[2] إلى الشيخ الجنيد. فاستجاب الله تعالى لها دعاها[3] وحملت. فلما وضعت جابت غلامًا كان البدر فى تمامه فسمته: «حسين» وربته إلى أن صار له من العمر ثمانى سنين.

فقالت له فى بعض الأيام: يا ولدى إعلم أنى نذرت لله تعالى إن وضعت ولدًا ذكرًا جعلته خادمًا للفقراء، وها أنا قد وضعتك ولدًا ذكرًا، وأحسنت تربيتك، وأريد أن أهبك[4] إلى الشيخ الجنيد يعلمك مما علّمه الله تعالى. فما يكون عندك من الرد.

---

(١) الشيخ الجنيد:
هو شيخ المشايخ أبو القاسم، الجنيد بن محمد البغدادى القواريرى كان مقبولا عند أهل الظاهر والباطن على السواء، كاملا فى كل فقه ثقة فى التوحيد والشريعة والحقيقة وكان تلميذا للثورى، عباراته عالية، وحاله كامل حتى أن كل الصوفية اعترفوا له بالإمامة فى المعرفة
كانت والدته شقيقة السرى السقطى الذى تتلمذ الجنيد على يديه، وكان من مريديه.
كان يقول «كلام الأنبياء نبأ عن الحضور، وكلام الصديقين إشارة عن المشاهدات».
انظر ترجمته فى:
كشف المحجوب للهجويرى ص ١٥٦. والطبقات الكبرى للشعرانى ط ١/ ٧٢ والرسالة القشيرية، ٢٤ وطبقات الصوفية ص١٥٥. ومصادر ترجمته فى كثير من المراجع.

(٢) الصحيح أنه كان يقول: (وتهبه). ولكن أبقيت هنا على الصياغة العامية للنص خشية تغير طبيعته.

(٣) لم أشأ أن أضع الهمزة هنا لنفس السبب.

(٤) هنا كان لابد من وضع حرف «إن» ليفصل بين الفعلين ولم أجد مناصا من جعل صحة الفعل هى الأصل.
ففى الأصل (وأريد أوهبك).

فقال لها:

يا أماه إفعلى ما بدالك. فإنى لست[1] ممن يخالف والديه.

فلما سَمِعَتْ من ولدها ذلك الكلام. أخذته ومضت به إلى أن أقبلت على الشيخ الجنيد، وسلمت عليه. فرد عليها السلام.

وقال لها: ما تريدين يا حُرْمَة.

فقالت له: إعلم أيها الشيخ، يا سيدى، أنى نذرت إن جانى ولد ذكر[2] جعلته خادمًا للفقراء. وقد جئت أوفىً ما نذرت. فاقبله منى، وعلّمه كتاب الله تعالى.

فأخذه الشيخ منها، ومضت إلى حال سبيلها.

فقال له الشيخ: يا ولدى حسين. إخدم الفقراء فى الزاوية، حتى تنال الخير.

فقال له: السمع والطاعة لله ثم لك.

ثم إن حسين صار خادم الزاوية، والفقراء. يكنس الخلاوات[3]، ويملأ الأباريق، ويدير النعال للفقراء، ويرفع سجادة الشيخ وينفضها، ويكنس تحتها. فمكث عند الشيخ برهة[4] من الزمان. وقد علمه الشيخ العلم، والفقه، والعقل، والآداب. حتى صار له قدر وشأن، وقد صار من الأولياء الأخيار، رضى الله عنه. فلم يزل على هذه الحال حتى أراد الله تعالى له بالسعادة، وبدت له الولاية.

قال الراوى يا سادة:

---

(١) فى الأصل: (فإنى ليس أنا). والتعديل هنا فى ظنى لأخطاء النسّاخ. وليس ضبطًا كما قد يرى البعض.

(٢) هنا يظهر أكثر مدى ما يرتكبه النساخ من الأخطاء فيرفعون المنصوب وينصبون المرفوع، ويحذفون، ويحرفون الكلم عن مواضعه. ربما كان هذا الغرض شخصى، وربما لإهمال. ومن نراه فى عمل التحقيق كثيرا على أيديهم.

والإشارة هنا أنه فى الأصل (ولدًا ذكرًا) هكذا. انظر صورة المخطوط ولا يمكن ترك خطأ كهذا مع طبيعة الصياغة العامية التى تملأ روح النص.

(٣) الخلاوات: جمع خلوة. وهى المكان الذى يستنجى فيه جماعة الصوفية. وتجمع على خلاوى، وخلاوات وهى ما قبل الوضوء.. ويجوز أن تكون الخلوة التى بمعنى موضع الاعتزال والتسبيح.

(٤) كان من المناسب هنا أن يقول: «مدة من الزمان».

فبينما الشيخ الجنيد قاعد فى بعض الأيام، فى الزاوية. والفقراء حوله يستمعون ما يقول. وإذ قد نزلت له ورقة بالولاية من السماء. فوضعها تحت السجادة لأمر يريده الله، وقام ليتوضأ حتى لا يمسها إلاّ على طهارة؛ لأن فيها اسم الله الأعظم.

فلما خرج الشيخ من الزاوية. دخل حسين على حسب العادة، وكنس الزاوية، ونفض السجادة؛ فوقعت منها الورقة فأخذها حسين وبلعها، على حب التبرك، ولم يعلم ما فيها. فلما دخل الشيخ فتش على الورقة فلم يجدها.

فقال: يا فقراء من رأى[1] منكم هنا ورقة فليردها.

فلم يرد عليه أحد جوابًا[2]. فأراد أن يخوفهم حتى يردوها عليه.

فقال لهم: من رأى ورقة ولم يردها علىّ قُطِعَتْ يداه، ورجلاه[3] وصلب، وحُرِق، وذر رماده فى الهواء[4].

كل هذا وحسين واقف وهو يبكى، وقد التهب قلبه بنور الحق، جلّ جلاله، وعلا[5] كماله؛ وترادفت علينا أفضاله. فنظر إليه الشيخ فرأى[6] أحواله قد تغيرت، وصار لا أحد يفهم له كلامًا[7]. وصار يشطح ويزيد فى الكلام زائد وناقص. فأنكر عليه الشيخ والتفت إليه، وقال له:

ما الذى أصابك، وما جرى لك؟[8]

فقال له:

يا شيخى نسمة من جنابه، وقّفتنى ببابه، وبشِرتنى بوصاله واقترابه، واستراح الفؤاد من هجره واحتجابه، وطاب لى ما سمعت فى الدجى[9] من لذيذ خطابه[10].

---

(١) فى الأصل: «من راه».

(٢) فى الأصل: «جواب».

(٣) فى الأصل: «قطعت يديه ورجليه».

(٤) فى الأصل: (الهوى).

(٥) فى الأصل: (وعلى).

(٦) فى الأصل: (فراه).

(٧) فى الأصل: (كلام).

(٨) فى الأصل: (وماجرا).

(٩) فى الأصل: (فى الدجا).

(١٠) انظر ما قيل فى المقدمة ص ١٦ حول ورود هذه الفقرة شعراً على مجزوء الخفيف.

ثم إن حسين بكى بكاء[1] شديدًا حتى غُمّى عليه، وأنشد يقول، بعد الصلاة على النبي ﷺ.

ألاَ يالَيْلُ مَـحْـبُـوبِى تَجلى[2] ألاَ يَا لَيْـلُ لِلْغُـفْـرَانِ هَلاً[3]

ألاَ يالَـيْلُ مَـا أبهَى وأحْلَى[4] ألاَ يا لَيْـلُ أكْـرَمَنـى وَجلّى[5]

وَلاَ طَفَنِى إلَى أنْ صِرْتَ كَهْلاَ

ألاَ يالَـيْلُ وَجْـدِى قَـدْ بَـرَانِى ألاَ يَا لَيْلُ مَـحْـبُـوبى دَعَـانِى

ألاَ يالَيْلُ فِى الْـحَـضْـرَةْ سَقَـانِى ألاَ يا لَيْلُ مِـنْ خَـمْـرِ الدِّنانِ

مُدَامًا فِى إلا (........)[6]

ألاَ يالَـيْلُ مَنْ شَـرِبَ المُدَامَـا ألاَ يَا لَيْلُ إنِّـى مُـسْـتَـهـامَـا

ألاَ يالَـيْـلُ قـد هَجَـرَ المنامَـا ألاَ يا لَيْلُ فِى الْحَضْرَةْ وَهَامَـا

وَقَتْلِى فِى الْهوى ما كان حِلاً

ألاَ يالَيْـلُ يكْفِـينِـى سِـقَـامِى ألاَ يَا لَيْلُ دمعى فَاضَ عـامِ[7]

ألاَ يالَـيْلُ مِنْ عِـظَمِ الغَـرَامِ[8] ألاَ يا لَيْـلُ زادَنِىَ الهُـيَـامِ[9]

شَطَحْتُ بِسُكْرَةِ[10] الأبْرَارِ سَهْلاَ

ألاَ يالَيْـلُ لِلْمَـوْلَـى رِجَـال[11] ألاَ يَا لَيْـلُ قُـرْبَ الحقّ نَـالوا

ألاَ يَالَيْلُ قَـدْ كُـشِفَ الجَـمَـال[12] ألاَ يا لَيْلُ قَـدْ صَدَقَ المقَـال[13]

تَراهُمْ فى هَوَى المَحْبُوبِ قَتْلاَ

---

(١) فى الأصل : (بكاءً بكاءً) وستكرر كثيرا وسأكتفى بهذه الإشارة. قدر الإمكان.

(٢) فى الأصل: (تجلا).

(٣) فى الأصل: (أهلا) وتجوز مع عدم نطق حرف الألف.

(٤) فى الأصل: (أبها وأحلا).

(٥) فى الأصل: (وجلا).

(٦) عليها سواد فى الأصل.

(٧) فى الأصل (عامى) ولكنها (م) مشبعة.

(٨) كالسابقة.

(٩) كالسابقة والمفروض أنها مرفوعة والكسر هنا للضرورة.

(١٠) فى الأصل: (بسكرتى).

(١١) فى الأصل: (للمولا رجالوا).

(١٢) فى الأصل: (كشفوا الجمال)

(١٣) فى الأصل: (صدقوا المقالوا).

أَلاَ يـاَلَـيْـلُ[١] أَقْـوَامٌ كِـرَامُ أَلاَ يَا لَيْلُ قَـدْ شَـرِبوا فَـهَامُـوا

أَلاَ يَالَيْـلُ جُنحَ اللَّـيْلِ قَـامـوا أَلاَ يا لَيْلُ قَـدْ صَلُّوا وَصَـامُـوا

سُجَّدًا رُكَّعَا يَبْغُونَ فَضْلاَ

أَلاَ يالَـيْلُ قَـدْ طَابَ الشَّـرَابُ أَلاَ يَا لَيْلُ قَـدْ سكَرُوا[٢] فَطَابوا

أَلاَ يَالَيْـلُ قَـدْطَابُوا فَـغَـابُوا[٣] أَلاَ يا لَيْـلُ قَـدْ زَادَ العِـتَـابُ

وَطَابَ الوَصْلُ يَامُغْرم تَمَلَّى[٤]

أَلاَ يالَيْـلُ قَـدْ كَـثُـرَتْ ذُنُوبى أَلاَ يَا لَيْلُ قَـدْ ظَهَـرَتْ عُيُـوبى

أَلاَ يَالَـيْلُ زَادَ بِـىَ النَّـحِـيـبُ أَلاَ يا لَيْلُ نَادَ مِنِى حَـبِـيـبِى[٥]

وَقَرَّ بَنِى وَلاَ عَنِّى تَخَلَّى[٦]

أَلاَ يالَيْـلُ لى قَلْبُ كَـسِـيـرُ[٧] أَلاَ يَا لَيْلُ لـى وَجْـدٌ كَـثِـيـرُ

أَلاَ يَـالَيْـلُ بى دَمْـعٌ غَـزِيـرُ أَلاَ يا لَيْلُ إِنِّـى مُـسْـتَـجِـيـرُ

بِجَاهِ الْمُصْطَفَى مَنْ نَالَ فَضْلاَ

قال الراوى؛ يا سادة: فلما فرغ حسين من كلامه وشعره، قال له شيخه: يا حسين أنت وصلت إلى هذه المنزلة؟

إن كنت وصلت إليها فعليك بكتمان الأسرار.

فقال له: يا شيخى ما لى قوة على كتمان الأسرار.

---

(١) سقطت من الأصل. (٢) فى الأصل: (بدون ألف).

(٣) فى الأصل: (فقابوا). (٤) فى الأصل: (تملا)

(٥) فى الأصل: (حبيب).

(٦) فى الأصل :(تذلوا) ولا تصح ورأينا أن نضع مكانها كلمة (تخلى) لتناسب المعنى والسياق.

(٧) البيتان التاليان تم ضبطهما بمعرفة المحقق وكان فى الأصل هكذا.

الا يـا ليـل قلـت كـسـيـرا الا يا ليـل لى وجـدا كـثـيـرا

الا يـا لـيـل لـى دمـع غـزيـرا الا يا ليـل إنى مـسـتـجـيـر

فقال له: كيف ترى[١] نور المحبة فى قلبك؟

فقال له: أرى نورها فى قلبى، فلم أر إلاّ ربى. فأخذ عقلى منىّ، وقد سلبنى عنى. ثم نظرت منه إليه، فلم أر[٢] فى الكون إلاّ هو.

ثم إن حسين أنشد يقول هذا القول الزكى[٣]:

طَابَ السَّمَاعُ وَهَبَّتِ النَّسَمَاتُ
وَتَواجَدَتْ فِى حَانِهَا السَّادَاتُ

سَمِعَوا بِذِكْرِ حَبِيبِهِم فتَهتَّكُوا
خَلَعُوا العِذارَ وَدَارَتِ الكَاسَاتُ

طَرِبُوا فَطَابَتْ بالْلُقَا أرْوَاحُهُم
كَتَموا فَبَاحَتْ مِنْهُمُ العَبَراتُ

شَرِبُوا بأَقْدَاحِ الصَّفَا لَمَّا صَفَوْا
سَكِروا فَلاَحَتْ مِنْهُمُ حَالاَتُ

ظَهَرتْ عَلَيْهم مِنْ بَواطِنِ سِرِهَمْ
نَفَحَاتُ سِرٌّ كُلُّهَا رَاحَاتُ

هَطَلَتْ مَدَامِعُهُمْ عَلَى وَجَنَاتِهمْ
وَتَصَاعَدَتْ مِنْ شَوْقِهم زَفَرَاتُ

زَادَ الغَرَامُ وفِى حِشَاهُمْ جَمْرَةٌ
شَوْقًا إلَيْهِ بِقَلْبِهم حَسَراتُ

نَشَرَتْ عَلَيْهِم مِن مَجَالِس ذِكْرِهم
نِعَمٌ وَطَابَتْ مِنْهُمُ الأوْقَاتُ

---

(١) فى الأصل: (نزا). (٢) فى الأصل: (فلم أرى).

(٣) أنظر الديوان للشيبى: ينقص عن هنا بيتان، وهناك تغيير بسيط فى بعض الكلمات. قارن سقط من الديوان البيت الثامن هنا والبيت العاشر أيضا مع اختلاف كبير فى البيت السابع، وعجز البيت الثالث، وغير ذلك.

فَـتَـعطَّرَتْ رِيحُ الصَّبَا مِنْ عِطْرِهِمْ
وَسَرَتْ بَنشْرِ رَوَائِحِ الفَيْحَاتِ
وَالدَّهْرُ يَمْضِي فِي رِضَاهُم رَاحَةً
وَبِحَقٍّ فِيهِم طَابَتِ الرَّاحَاتُ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره صار يشطح ويزيد فى الكلام زائد وناقص، وقد غرق فى بحر الوداد. فصار الشيخ يرسله إلى السوق بالدراهم ليشترى للفقراء ما يحتاجون إليه. فصار[1] يأتى إلى السوق فيقف عليه. فيقول له السوق[2]: ما تريد يا حسين.

فيقول.

«لا إله إلاَّ الله. ما إريد إلاَّ الله.».

وهو يشطح فى الكلام زائد وناقص، ويظنون كلامه لحنا وتبديلاً، وكفرًا[3] يا سادة.. وصار يبكى بكاء شديدا وهو ينشد ويقول:

يَا عِوَضِي من عِوَضِي ... وَصِحَّتِي مِنْ مَرَضِي
يَا مَنْ هَوَاهُ دَائِماً ... فِي مُهْجَتِي لا يَنْقَضِي
هَيَّمْتُ قَلْبِي سَيِدى ... والقلبُ فِي الفِعْلِ رَضِي
وَقَدْ رَضِيتُ بما قضَى ... رُوحِي فِدَاهُ إنْ رَضِى[4]

(١) فى الأصل :(فصارا).
(٢) المقصود هنا طبعا :(أهل السوق).
(٣) فى الأصل: (لحن. وتبديل. وكفر).
(٤) هذه الأبيات على مجزوء الكامل، وردت فى المخطوط منثورة، وأوردها الشيبى فى الديوان مع اختلاف فى بعض الأبيات وجاءت على هذا النحو:

يَا عِوَضِي من عِوَضِي ... وَصِحَّتِي مِنْ مَرَضِي
يا من هواه دائماهَيَّمْتُ قَلْبِي ... فى مهجتى لا ينقضى
هيمت قلبى سيد ... والقلبُ بالفُغْل رضى
أفنيتنى أضنيتنى ... قلبى بذكراك رضى

وهذه الأبيات من المقاطع المنسوبة للحلاج هكذا قال الشيبى انظر الديوان صـ١١٤ المقطع (٣٤).

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره قام[1] أهل بغداد كلهم، وإجوا أيضا كلهم، إلى عند الشيخ الجنيد، رضى الله عنه:

إعلم أن مريدك حسين قد أتعبنا، وهو يشطح ويتكلم بكلام لم يدخل فى العقل، ولا فى البال. وقد شغلنا عن بيعنا وشرانا، وقد أوقف[2] حالنا فنسألك أن ترده عنا.

فقال لهم الشيخ:

انصرفوا فإذا حضر[3] فأنا أؤدّبهُ.

فما أمضوا ساعة إلاّ وحسين قد حضر إلى بين يدى الشيخ.

فقال له الشيخ: يا حسين إيش هذا الحال. إعلم أن أهل بغداد قد إجوا إلى عندى، وشكوا منك، ومن شطحك، ومن كثرة كلامك، وقد أتعبتنى وأتعبت نفسك، فارجع عما أنت فيه، ولا ترمى روحك فى الهوان[4] فيقطعون منك الأوصال، ويعذبوك بأشد العذاب[5].

فقال له: التعذيب فى رضى الحبيب

ثم إن حسين، رضى الله عنه، أنشد يقول هذه الأبيات كما ترى مفصلا بأحسن[6] كلام.

---

(١) فى الأصل: (قامت).

(٢) فى الأصل: (واقف).

(٣) فى الأصل :(فا إذا حضرا فا انا ادبه) هكذا يرسم الناسخ كثيرا من الألفاظ.

(٤) فى الأصل: (ولا ترامى روحك فى الهون).

(٥) وتعليقى من حيث المعنى. هل يكرر النبوءة هنا مرة أخرى؟ أم يعيدها واضحة ويؤكدها؟ فهو فى المرة الأولى يقول له: فمن رأى ورقة ولم يردها علىّ قطعت يداه ورجلاه، وصلب، وحرق، وذر رماده فى الهواء).
نعم قال الشيخ له هذا اثناء بحثه عن ورقة الولاية التى جاءت له وابتلعها الحسين، وسكت خوفا. تُرى كيف يفسر الضمير الشعبى هذا المعنى إذا تكرر تصور النبوءة؟
لكن النهاية المتصورة فى الحقيقة واحدة وإن اختلفت الطرق. أم فى الأولى مجهولة وفى الثانية معلومة؟

(٦) فى الأصل :(يا أحسن).

غَفَلْتُ وَحَادِيَ المَوْتِ فِي أَثَرِي يَجِدُّ
وَإِذْ لَمْ أَمُتْ يَوْمًا فَلابُدَّ مَا أَمُدُّ
أَرَى العُمْرَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ أَبْلُغْ المُنَى
وَلَيْسَ مَعِي زَادٌ وَفِي سَفَرِي بُعْدُ
فَوَا أَسَفِي لَوْ كَاَانَ يُغْنِي تَأَسُّفِي
وَوَاهٍ، ووجْدَاهُ لَوْ يَنْفَعُ الوَجْدُ
عَلَى مَوْتِ مِثْلِي وَهُو خَاوٍ مِنَ التُّقَى
وَلَيْسَ مَعِي تقواى وَلَيْسَ مَعَي زُهْدُ
أنَعَم جِسْمِي بِالثِّيَاَبِ وَلِينِهَا
وَلَيْسَ لِجِسْمِي مِنْ ثِيَابِ البِلَى بدُّ(١)
كَأَنِّي وَقَدْ مُدِدْتُ فِي بَرْزَخِ البِلَى
وَمِنْ فَوقِي رَدْمٌ(٢) ومِنْ تَحْتَى اللَّحْدُ
وَقَدْ مُحِيَتْ تِلْكَ المَحَاسِنِ كُلِّهاَ
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ العظْمِ لحَمٌ وَلاَ جِلْدُ
فَوَاللَّه لَمْ أخْشَ لَشَيْءٍ سِوَى البِلى(٣)
وَقَدْ جاءَ مِنْ ربِّي وَعِيدُ وَجَاَ وعْدُ
لَقَدْ كَانَ لَنَا بالْمَوتِ وَعَظٌ وبالْبلَى(٣)
وَقَدْ غَابَ عَنَّا الأهل وانْقَلَبَ الرُّشْدُ

---

(١) في الأصل :(البلابد)
(٢) في الأصل :(ردما)
(٣) في الأصل :(البلا)

وَقَدْ كُنْتُ لِلَّهِ المُهَيمِنِ عَاصِيًا
وَأَحْدَثْتُ أَحْدَاثًا[1] وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
وَأَرْخَيْتُ وَقْتَ اللَّيلِ سَتْرًا[2] مِنَ الجَفَا
وَلَمْ أَخْشَ مِنْ سِرٍّ غَدا عِنْدَهُ يَبْدُو
عَسَى غَافِرُ الزَّلاَّتِ يَغْفِرُ[3] زَلَّتِي
وَقَدْ يَغْفِرُ المَولَى إذَا أذْنَبَ العَبْدُ
إلَهِي تَرى[4] نَفْسِي وَقِلَّةَ صَبْرِهَا
إذَا لاَحَ ضَوءُ البَرقِ أوسَبَّحَ الرَّعْدُ
فَكَيْفَ إذَا أَحْرقتَ بِالنَّارِ مُهْجَتِي
وَنَارُكَ لاَ يَقْوَى لَهَا الحَجُرُ الصَّلْدُ
أنَا الفَردُ عِنْدَ المَوتِ وَالقَبْرِ فِي البِلَى[5]
وَأُبعَثُ فَرْدًا فَارْحَمِ الفَرْدَ يَافَرْدُ
سَأَلْت إلَهَ العَرْشِ يَغْفُر زَلَّتِي
إلَهٌ لَهُ الإكْرامُ والجُودُ والحَمْدُ
وَمَالِي شَفِيعٌ غَيْرَ جَاهِ مُحمَّدٍ
وَمَنْ جَاهَهُ فِي الحَشْرِ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَّهِ مَا لاَحَ بَارِقُ
وَمَا هَطَلَتْ[6] سُحْبٌ وَمَا قَهْقَهَ الرَّعْدُ

(١) فى الأصل :(أحداث).
(٢) فى الأصل :(ستر)
(٣) فى الأصل: (يغفر لى زلتى). تكسر الوزن
(٤) فى الأصل :(ترای نفسی)
(٥) فى الأصل :(البلا)
(٦) فى الأصل :(سبحت)

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره وكلامه ترك شيخه، وسار وهو يشطح. وزاد وقد غرق فى بحر الوداد. فالتمت أهل بغداد، ولِجُوا إلى الشيخ الجنيد، رضى الله عنه، وقالوا:

يا سيدى الشيخ لقد زاد مُر يدُك حسين فى الكلام ولا بقى[1] لنا عليه صبر ولا احتمال.

فقال لهم الشيخ:

أمْسكوه حتى[2] أحبسه فى مخزن القطن غدًا وحتى[3] أدبّر فيه أمرًا إمَّا أن يرجع عما هو فيه وعن مقاله، وإما نشغله بقطع أوصاله. فجاءوا إليه، واستجمعوا، وقبضوا[4] عليه وأدخلوه إلى مخزن القطن. فبكى[5] بكاءً شديدًا وأنشد يقول هذا الكلام الآتى ذكره كما ترى[6].

يَظُنُّونَ أنَّ الحُبَّ هَزْلُ بِلاَ جَدٌ[7]

وَمَا ذَاكَ إلاَّ وَصْفٌ زَائِدُ الحدٌ[8]

وَمَا عَلتْ نَارُ الَهوَى بِمُتَيِّمِ[9]

بذا الُحبٌ أن لاَ يُعِيدُ وَلاَ يُبْدِى

أَقَلُّ الَهَوىَ مَا كَنَى الصَّبُّ اسمَهُ

وَأَيْسَرُهُ نَارٌ تَضْرِمُ بِالْوَقْدِ

وَأَوْسَطهُ نَارُ الغَرَامِ تَسَعُّراَ

إِذَا مَا مَضَى جِلْدٌ[10] تَبَدَّلَ لِي جِلْدُ

---

(1) فى الأصل: (ولا بقالنا).

(2) فى الأصل: (حتى إنى أحبسه).

(3) فى الأصل: (بدون واو).

(4) فى الأصل: (وقبضوه).

(5) فى الأصل: فبكا).

(6) فى الأصل: (كما تراى).

(7) فى الأصل: (بلا جدى).

(8) فى الأصل: زائد الحدى).

(9) فى الأصل: (عتيم).

(10) فى الأصل: (جلدًا).

وَلَـك وِدَادُ لاَ يَكُـونُ مُـــــسَــــرْمَــــدًا

إِلَى يَـوْمِ مِــيــعَـــادِ الـوَرَى ليس بـالوِدِّ[1]

فَكَـمْ لَيْلَةٌ قَـــدْ نِلْـتُــهَـــا فِي ظَـلاَمِــهَـــا

أُنَادِمُ أَنْـفَـــاسَ[2] الزَمــنِ الشـــــهْـــــد

وَكَـمْ لَــيْـلَـــةٌ فـىِ الحُـبِّ سَــكْـرانَ هَــائِـمٌ

بِحُـبِّى وَقَلْبِى هَوى مُـقِـيـمُ عَلَى العَــهْــدِ

تَطُـوفُ عَلَـيْنَـا خَـــمْـــرةٌ مَــــعْنَوِيَّةُ

مُــــؤَيَّدةٌ جَـلَّتْ عَـنِ الكَـيْفِ وَالْـحَـــدُ

وَمَـــــــا ذَاكَ إِلاَّ إِنَّـهـــــاَ بِـعـنَـايـةِ

مُـعَـظَّمَــةِ بِـالْعِــزِّ سَـــابِقَـــةُ السَّــعْــدِ

قال الراوى يا سادة يا كرام:

فلما فرغ حسين من شعـره وكلامه. بكى بُكاءً شديدًا، وبات فى مخزن القطن وهو واقف على أقدامه إلى الصباح. ساعة يـقرأ القرآن، وساعة يذكر الله تعالى، وساعـة ينشد الأشعـار ويبكى بدموع غزار. فـعند ذلك أنشد يقـول هذه الأبيات الآتى ذكرها، كما ترى. وما أحلى من هذا الكلام:

يَا كِــرا مـــاً بَـوَصْلِهـمْ جَـــبَـــرُونِي

وَبِـأَلْطَـافِ فَـــضْلِـهمْ غَـــمَــرُونـىِ

مَنَـعُـــونيِ الرُّقَـــادَ فـى اللَّيْـلِ لَمَّـــا

عَلَّـقُــوا حُــبَّــهم بِقَـلْبِى سَـلَبُـــونى

(١) فى الأصل: (بالودى).

(٢) فى الأصل: (أنفاسا الزمن).

أَنَا عَبْدٌ لَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالِ
خَاضِعًا خَاشِعًا لَهُمْ خَلَقُونِى
فَارِغُ القَلْبِ مِنْ سَوَاهُم عَسَى هُمْ
عَبْدُ رِقٍ بِبَابِهِمْ أَقْعَدُونِى[1]
هُمْ دَعُونِى إِلَيْهِم بِرِضَاهُم
وَحَمُونِي عَنْ غَيْرِهِمْ وَهَدُونِي
أَوْجَدُونِى عَبْد رِقٍ فَمَا لِي
غَيْرَ حُبِّى لَهُمْ بِهِ خَصُّونِى[2]
أَوْقَفُونِي بِبَابِهِمْ عَنْ سِوَاهُمْ
خَادِمًا دَائِمًا بِهِم جَبَرُونِي
فَتَحُوا لِي أَبْوابَهُم لِهُدَاهُمْ
وَأَدْخَلُونِي عَلَيْهِمْ وَأَوْقَفُونى
عَبْدُ رِقٍ بِحُسْنِهِم أَمْلَى[3]
وَبِأَلْطَافِ فَضْلِهِم رَحَمُونِي
أَطْلَقُونِي مِن قَيْدِ أَسْرِ سِوَاهُمْ
وَبِأَفْضَالِ جُودِهِمْ قَيَّدُونِي
رَقُّوا إِلى الْمُدَام فى الحَانِ لَمَّا
أَخَذُونِي مِنِّى وصِدقًا سَقُونِي
خَمْرَةَ الْمُصْطَفَى شَرِبْتُ حَقِيقًا
بِالْوفَا والرِّضَا بِهَا عَرَّفُونِي

(١) فى الأصل: (قعدونى).
(٢) فى الأصل: (خصصونى).
(٣) فى الأصل: (أملا).

يَا خَلِيلى وَصَاحِبِي وَصَدِيقِي
قُمْ إِلَى حَانِهَا بِهَا تَجِدُونِي
قُمْ عَلى بَابِهِ سَمِيرًا ونَادِى
يَا كِرامًا بِفَضْلِهِمْ غَمَرونِي
أوْقِفُونِي إِلَى الرِّضَا بِهُدَاهُم
وَإِلَيْهِم بِهِم لَهُمْ أرْشَدُونِي
لَهُمُ الفَضْلُ كَامِلاً يَا خَلِيلي
هُمُ كِرَامٌ بِفَضْلِهِمْ عَوَّدُونِي
سَلَبُونِي عنْ غَيْرهِمْ وَرَمُونى
خَادِمًا عَابِدَ الَهمْ وَدَعُونِي
إِنَّنِي قَدْ رَضِيتُ بِالْحُبِّ فِيهم
عَبْدَ رِقٍ نَشْوَان مِمَّا سَقُونِي
كُلُّ عَبْدٍ غَدَا لَهُم وَمُرِيدٌ فِي
هَوَاهُمُ بِجُودِهم يَتْبَعُونى
مَنْ أرَاهُ الإِلَهُ يُشْبِع حُبِّى
فِي طَرِيقِ الهُدَى(١) لهُمْ رَسَمُونِي
هى طَرِيق التَّوحِيدُ حَقًا وَصِدْقًا
لاَ مَحِيدَ عنْهَا بِهَا سَلَكُونِي
جَذَبُونِي مِنِّى لَهُمْ وَإِلَيْهِم
قَرَّبُونِي وَبِالصَّفَا جَبَلُونِي

(١) فى الأصل: (الهدا).

أوْ جَـذَبُونى بِـهم لَـهمْ عَـبْـدَ رِقٍّ

وَعَلى حُـبِّـهم لَهُمْ نَظَرُونِي

مَقْصِدِي هُمْ وَالْقَصْد مِنْهُمْ رِضَاهُمْ

وَرِضَائِى وَمَالُهمْ يَدْعُونِي

عَبْدَ رِقٍ لاَ أنْثَنِى عَنْ هَوَاهُمْ

وَهَوَاهُمْ فِي مُهْجَتِى يُعْطُونِي

قال الراوى:

فلما فرغ حسين من شعره صبروا عليه حتى أصبح الصباح ودخلوا إليه فوجدوا كل القطن محلوجا، مندوفا[1] القطن فى ناحية والحَبُّ فى ناحية، وكان فى المخزن قطن كثير فتعجب الناس فى ذلك غاية العجب.

فقالوا له يا حسين.. آأنت صنعتك حلاج حتى حلجت هذا كله فى ليلة واحدة؟

فلما سمع منهم هذا الكلام أنشد يقول هذا الكلام الحسن الظريف، رضى الله عنه، آمين:

أنا حسين الحلاج	إيش تنكروا من حالى
أنا حلجت قطنى	بالذكر والقرآن[2]
أنا عبد ربى	صدقا بلا محالِ
أنا قضيت عمرى	فى خدمة الديان[3]

(١) فى الأصل: «محلوج. مندوف» = والمحلوج هو المندوف أنظر اللسان مادة حلج.

(٢) فى الأصل: «والقرآنى» (٣) فى الأصل: «الديانى».

أنا أفــتى[1] فى قــتـلى	سـبـعـون طـلـيـسـان[2]
كـلـهـم مـعـازير[3]	مـا شـاهدوا المعـانى
أنـا عـبـد ربـى	فى ظـلـمـة اللـيـالى
فـى حـب ربـى قـد	صـرت ثـابـت الجنـان
أنا فـتـح لى البـاب	بـفـضـلـه دعـانـى
بفـضْلِه سَـتَـرنِى	وعـفـوهِ غَـطَّانـى
يـا الله يـا أخـوانـى	سلـوه عـسـى يِرضـانى
إن كـان مـا يرضـانى	جـددت فـيـه أحـزانى

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره قالوا له:

قم معنا إلى عند شيخك الجنيد فإن رجعت عما أنت فيه، وإلاَّ قطعنا منك الأوصال. فسار معهم حتى وصل إلى عند شيخه. فقال له شيخه وعانقه وبكى بكاءً شديداً فانشد حسين يقول هذه الأبيات الآتى ذكرها كما ترى:

---

(١) فى الأصل: «فتى»

(٢) فى الأصل: «سبيعين طيلسان» والطيلس والطيلسان: «ضرب من الأكسية».

قال فى لسان العرب أى أسود.

واستشهد ببيت شعر للمرار بن سعيد الفقعسى يقول:

فـرفـعت رأسى للـخـيـال فـمـا أرى
غـبـر المطىّ وظـلـمـةً كـالـطـيـلس

ثم جاء الألف والنون.

وجمع الطيلس ، والطَّيْلَسان، والطيلُسان طيالس وطيالسة. دخلت فيه الهاء للعجمة لأنه فارسى مُعرَّب.

(٣) مفردها «معذور» . وكأنما يبرر لهم فتواهم لجهلهم بعدم المشاهدة.

سَقُونِى وَقَالُوا لاَ تُغَنِّى وَلَوْ سَقُوا

جِبَالَ حُنَيْنِ لَوْسَقُوهَا لَغَنَّتِ[1]

جِبَالُ حُنَيْنِ لَمْ تَكُنْ تعرفُ الهَوَى

ولَوْ أنَّهُمْ عَرَفُوا لكانت عنَّتِ[2]

حُرِمتُ الرِّضَا إِنْ كُنْتُ بَعْدَ حَدِيثكُم

سَمِعْتُ بِأنِّى مَا حَلا لِى فَصَمَّتِ[3]

وَإِنِّى لأَ بْكِي العَيْن فِي ضِلِّ مَنْزِلِي

عَلَى طِيبِ أوْقَاتٍ مَضَتْ وَتَولَّتِ[4]

أَيَا سَادَتِي لولا أخَاف عَلَيْكُم

زَفَرْتُ فَأحْرَقْتُ الخِيَامَ بِزَفْرَتِى

وَلَوْلاَ أخَافُ وَمَرْعَاةُ الخِيَام و

أهْلُهَا قَطَعْتُ طَرِيقَ السالكين بِعَبْرَتِى

وَسِجَّادَتِى زَهْرُ الرَّبِيع وَرَوْضَتى

وَسَبْعُ المَثَانِى والمَثَانِى سِبْحَتِي

وَمَجْنُونُ لَيْلَى مَاتَ فى الحب واحِدٌ

وَلِى فى هَوَاهَا فى الدُّجَى أمّى وَجِدَّتِى

---

(١) فى الأصل: «لغنتى» = والصحيح أن يقول «ما سُقِيتُ لغنَّتِ» . وهذا لسان حال الحلاج.

(٢) فى الأصل: «غنتى»

(٣) فى الأصل: «فصمتى»

(٤) فى الأصل: «وتولتى» .

فَيَا أَيُّهَا العَاصِى الّذِى ضَاعَ عُمْرُهُ
وَفَرَّطَ فِي الأَيّامِ حَتَّى تَولَّتِ[1]

إِذَا كُنْتَ تَهْوىَ القَوْم فَاهْجُر سِوَاهُم
وبَادِرْ إِلَى بابِ الحَبِيبِ بِسُرْعَةِ[2]

وَسلِ الرَّضا والعفو عَمَّا مضى
تجد رَحِيما غافر الذنب والخطيئةِ[3]

قال الرواى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره، ناوله الشيخ مَنْديله.

وقال له الشيخ:

خذ هذا المنديل يا حسين

فأخذه فى الهواء حدفه.

وقال: يا منديل خذنى معك.

فطار هو والمنديل ولم يبق[4] له أثر، ولا خبر إلى مدة سنة كاملة[5] فبقت أهل بغداد والناس متعجبين من هذا الأمر.

---

(١) فى الأصل: «حتى تولتى»
(٢) فى الأصل: «بسرعتى»
(٣) فى الأصل: «غفار والخطيئتى»
(٤) فى الأصل: «لم يبقى»
(٥) إلى أى مدى يرى الخيال الشعبى مثل هذه المخارج. وهى أيضا فكرة تتعلق بالكرامة فى التراث الصوفى فهل جاءت هذه الكرامة للتحدى؟

كثير من كبار المتصوفة يرفض القول بكرامة التحدى. والبعض الأخر يقرها حين تستدعيها الحالة التى عليها الناس. ليعودوا الى الله بعد ضلالهم وغيّهم.

وبعض الناس يقول إن الكرامة تقع من الولى بقصد وبدون قصد. يجريها الله تعالى على أيديهم بسببهم.

(انظر فيض العلى ذى الجلال بإثبات كرامات الأوليات» مخطوط ٢٠٠٤١ جامعة القاهرة. فى الحياة وبعد الانتقال.

فقالت الناس: الحمد لله الذى راح عنّا حسين، واسترحنا منه، وأكَلَتْهُ الوحوش فى البرارى والجبال.

فبينما الناس فى هذا الكلام، وإذا الحسين الحلاج قد أقبل ودخل من باب بغداد وهو يقول:

«لا إله إلاّ الله ما يدوم إلاّ الله، يا قوم أذكروا الله، يا قوم وحِّدوا الله، يا قوم قولوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ﷺ».

فلم تزل الناس خلفه وهم يكتبون ما يقوم حتى وصل إلى الشيخ الجنيد، رضى الله تعالى عنه. فلما نظر إلى شيخه بكى بكاءً شديداً وأنشد حسين يقول هذه الأبيات الآتى ذكرها؛ كما ترى:

قُلْ لاَ لأخْوَانى رَأَوْ نى مَيِّتَا
فَبكُوا لى ورَثُوا لى حَزَنَا

أتَظُنُّونَ بِأنّى مَيِّتٌ
لَيْسَ ذَاكَ المَيْتُ والله أنَا

أنَا فِى صَوْنٍ وهَذاَ جَسَدِي
كَانَ بَيْتِي وقَمِيصِى زَمَنًا

أنَا كَنْزٌ وحِجَابُ مَطْلَبٌ
مِن تُرابٍ قَدْ تَخَلَّى لِلْفَنَا

أنَادرٌّ قَدْ حَوَاهُ صَدَفٌ
كَانَ سِجْنٌ فَألِفْتُ السِّجْنَ

أنَا عُصْفُورٌ، وَهَذَا قَفَصِي
طِرْتُ مِنْهُ وتَرَكْتُهُ رَهْنَا

أحْـــــمَــــــــدُ اللَّـهَ الَّذِى خَـلَّـصَنِـى مِنْـهُ

وَبَنـى لـِى فِـىَ المـعَـــــــــــــالَـى وطـنـاَ

كُنْـتُ قَـــــبْلَ اليَــــومِ مَــــــيِّتُ بَيْنَـكُمْ

فَحِيتُ[1] إِنِّـــى خَــلَـعْــتُ الـــكَـفَـنَــا

وأنَـا الَـيــــــــومَ أُنَـاجِـى مَـــــــــلا[2]

وأَرى الـلَّـهَ جَــــــــهَـــــــــارا عَلَـنَـا[3]

عَاكِفَ[4] فـى الـلَّـوْحِ أقْــــــــــــرأُ وأرِى

كُـلَّ مَــــــــا كَـــــــانَ ويَـأتِـى، ودَنَـا

يَـا قَــــرِيـبٌ يامُــــــجــــيـبٌ اهْدِنِـى

مَنْ سِـــــوَاك أنَـت كَـــريـم مُـــحْــــسنَا

وَطِـعَـــــــــامِـى وَشَـــــرَابِـى وَاحِـــــدٌ

فَـافـهَـمُـوه فَـهْـو[5] رمْـــــزٌ حَـــــسَنَـا

لَيْـس قَـــمْـــراً سَـــائِغَــــا أوْعَـــسَـــلاً

لاَ[6]، ولاَ مَـــــــــــــاءً، ولَـكـن لَـبَـنـا

فَـــافْـــهَـــمُـــوا السِّـــرَّ فَـــفِـــيِـــه نَبَـــأ

مِنْ مَـــعَـــــانٍ تَـحْتَ لَـفْظِ[7] كَـــمَـنَا

---

(١) فى الأصل: «محيت».

(٢) فى الأصل: «ملأ»

(٣) فى الأصل: «علنتا»

(٤) فى الأصل: «عاكفا»

(٥) فى الأصل: «فهو»

(٦) فى الأصل: «لا وما ولا ماء»

(٧) فى الأصل: «من معانى تحب لفظ كمنا»

فَــاهدِمُــوا بَيْــتىُ وارضُــوا ثِقَــتيِ[١]
وذرَوُا الــكُــلَّ يِقَــــينا بَيِّــنا
قَــدْ تَـرَحَّلَتُ وَقَــدْ خَـلَّفْــتكَمُ
لَــيْــس أَرْضُ دَارِكــم لِــى وَطَــنَــا
لاَ تَـظُــنُّوا المـوْتَ مَــــوتًــا إنَّـهُ
لَحَــيَــاةٌ فَــهُــوُ غَــايَةُ المُنَى
أخْــبَــرتْنَا الدَّارُ يَــوْمًــا عَـنْهُــمُ
فَــإذَا مَــامِــتُ طَارَ الوَثْــنَــا[٢]
لِتَكُنْ فِي هَـجْـمَــةِ الَمــوتِ فَــزَعٌ
إنَّمــا هِـىَ انْتِــقَــالٌ مِنْ هُنَا إلى هُـنا
وَخُــذْ فـى الزَّادِ حِــمْــلاً وَاتْـقَــا
لَيْسَ بـالـعــاقِـلِ مِنَّا مَـنْ وَنَـى
وَاحْــسِــنَ الـظَّـنَّ بِــربِ رَاحِـمٍ
يَـشْـكُـرُ الـسَّــعْـىَ وَتَـأْتُـوا أَمَـنا
مَــا أرَى نَـفْــسِــىَ إلاَّ أنْــتُـمُ
واعْــتِــقَــادى أنَّـكُمْ أنْـتُمْ أنَـا[٣]

---

(١) فى الأصل: «غير واضحة» ولكنها رسمت هكذا «ورضوا ثفى»

(٢) المقصود به هنا «الجسد» أى هيكله الجسمانى. أى طيران الجسد بالنعش كما يحدث فى كثير من الحالات.

(٣) تصرح الأبيات الثلاثة التالية بفكرة وحدة الوجود. وانظر إلى هذا البيت الذى يُنسب أيضًا للحلاج وهو لابن عربى (محمد بن على الحاتمى المتوفى ٦٣٨ هـ) يقول:

عَــقَــدَ الخــلائــقُ فى الإلـهِ عــقــائدًا
وأنا اعْــتَــقَــدْتُ جَــمِــيعَ مَــا عَــقَــدُوهُ

انظر الديوان المقطوعة (٢٢) ص ١٠٩.

عـــــصـــــــر الأُمَـنـاءِ مِنَّـا واحـــــــد

وكَـــذا الجِـــسْمُ جَـــمـــيـــعًـــا مَـــعَـنا

فَـــــمَــــــتى كَــــانَ خَـــيْـــــراً فَلـنَا

ومَــــــتى كَــــان شَـــــراً فـــــبنَـا

أسْـــــأَلُ اللَّهَ لِـنفَـــــــسى رَاحـــــــةً

رَحِـمَ اللَّـهُ صَـــــدِيقــــا كَـــــان أمِنـا

وسَـــــــلامُ اللَّـهِ عَـلـيْـكـم دَايـمــــــاً

بســــلامٍ مـن مُــــحِبٍ خَـــــالصٍ وثَـنَا[1]

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين بن الحلاج من شعره وسمع منه شيخه هذا الشعر. دهش عقله، وطار لبه وقال له شيخه:

يا ولدى يا حسين أنت وصلت لهذا المقام والمنزلة.

فقال له : نعم ببركة الله ورسوله (ﷺ)، وبركتك يا شيخى.

وقام وسار وهو يشطح ويتكلم زايد وناقص. فأتى أهل بغداد إلى الشيخ. وقالوا له:

يا شيخ قد أتعبنا مريدك حسين، وقد شغلنا عن بيعنا وشرانا.

فقال لهم الشيخ: أمسكوه واحبسوه إلى غد حتى

ننظر ما يكون من أمره. إمَّا أن يرجع عما هو فيه، وإمَّا أن ينفذ حكم الله فيه.

فقالوا له: يا شيخ نحن ما نقدر نمسكه.

(١) المقصود هنا. بسلام وثناء من محب خالص فى الحب.
وإلا فسرَّ البعض وثنا: بالوثن. إنما هى «ثناء»

فقال لهم: ولمَ ذلك.

فقالوا يا شيخ: هذا ساعة يمشى، وساعة يطير فى الهواء.

فـقال لهم الشـيخ: قولوا له؛ يقـول لك شـيخك أدخل فى هذا المكان. فـإنه يدخل[1].

فجاءوا إليه، وأخذوه، وأتوا به إلى باب السجن.

وقالوا له: يا حسين. شيخك يقول لك أدخل إلى هذا السجن.

فلمـا سمع بذكـر شيخـه. قام ودخل إلى السـجن[2]. فقـفلوا عليه الأبواب وساروا، وخلّوه. فلمـا دخل إلى داخل السجن رأى فيـه خلق كثيـر. فلما رآهم قال:

«لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد.

يحيى ويميت، وهو على كل شىء قدير.

معـاشر المحـابيس. ما حـبسكم إلاّ ذنوبكم، وغـفلة قلوبكم وقدر شـغلكم، ورغبتكم فى هذه الدنيا الدنية عن سيدكم ومـحبوبكم. فلو رجعتم بقلوبكم إليه. لبكيتم بعيـونكم عليه كان جعل لكم من كل هم فرجاً، ومن كل ضـيق مخرجا. ولكن إسمعوا منى ما أقول إن كان لكم عقول[3]. وإلاّ. قُعادكم فى هذا السجن يطول.

فعند ذلك قامت المحـابيس، وجلسوا حوله. فقـال وبكى بكاءً شديداً. وأنشد يقول هذا الشعر المبارك حلو المعانى. الآتى ذكره كما ترى:

أَدِرِ الـكَـاسَـــــــــــاتِ فـي جُـنْـحِ الـظَّـلاَمِ

وَاسْـــقِنِى مَنْ خَـمْـــرةٍ تَشْـفِى السَّـقَـــامِ[4]

---

(١) ضمان الاستجابة للأمر، وعدم المخالفة.

(٢) تنفيذ الأمر دون مخالفة.

(٣) فى الأصل: «معقول».

(٤) فى الأصل: «الـسقامى».

خَـــمْـــرةٌ فِـى دِنّهـــا قَـــدْ عُـــتِّـــقَتْ

قَــدْ سُــقِــيــهــا كل صَبٍّ مُــسْـــتَــهــامِ

خَـــمْـــرةُ الْمُصْـطَفَـى خَـــيْـــرُ الوَرَى

قَــدْ صُـــفِّتِ والأوْلِيَــا فِـــيــهــا هُـيَــامِ

فَـــسُـــقِـيَـــهـــا سَـيِّـــدى أبُو الــوَفَـــا[١]

فَـــبَـــقِى مَـنْ سُكْرِهِ فِـــيَـــهـــا إمَـــامِ

وَسُـــقِـــيَـــهـــا الشَّـــيْـخُ عَـــبْــدِ القَـــادِرِ[٢]

فَـــرُقّى مِـنهــــا أعْـلَى مَـــــقَـــــامِ

---

(١) سيدى أبو الوفا:

هو الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء رضى الله عنه. كان من أعيان مشايخ العراق فى وقته. له الكرامات الظاهرة وانتهت إليه رياسة هذا الشأن فى زمانه، وكان الشيخ عبدالقادر الجيلانى يقول عنه «ليس على باب الحق تعالى كردى مثله».

وهو أول من سمى بتاج العارفين بالعراق. ومن كلامه: «من هيمه أثر النظر أقلقه سماع الخبر، ومن انقطع فى مفاوز الأشواق لم يلتفت إلى الآفاق».

وكان يقول: «الذكر ماغيبك عنك بوجوده، وأخذك منك بشهوده. فإن الذكر شهود الحقيقة وخمود الخليقة» ومن أقواله أيضاً: «الأجسام أقلام، والأرواح ألواح، والنفوس كؤوس، والوجد حسرة تلهب ثم تسلب، والقوة محادثة السر عند اصطلام العبد يشاهد الحضور واستغراق القلب فى بحر المشاهدة لغلبة المشهود.

انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص ١١٦.

(٢) الشيخ عبدالقادر:

هو أبو صالح عبدالقادر الجيلى أو الجيلانى» وهو ابن موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعا ولد سنة «٤٧٠» هـ وتوفى سنة «٥٦١» هـ ودفن ببغداد كان لأمه قدم فى الطريق. وأُثِرَ عنها أنها قالت: لما وضعت ولدى عبدالقادر كان لا يرضع ثديه فى نهار رمضان ولقد غم الناس هلال رمضان فأتونى وسألونى عنه فقلت لهم إنه لم يلتقم اليوم له ثديا ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان. =

وكَـــذَاكَ ابنُ الـرِّفَــاعى أَحْـــمَـــد(١)

مُـــذْ سُقِـيـهَــا هَامَ فِـيـهَــا كــالهُـمَـامِ

ورِجـــالُ اللّهِ مِنْهَـــا قَـــدْ سُـــقُـــوا

شَـــرْبَةً هامُــــوا وَقَــامُــــوا فِى الـظَّلامِ

فَـــهُـمْ الــسَّـــادةِ مِــنْ بَـيْنِ الـوَرَى

هَجَـــرواُ فِـى حُـــبِّـــهِ طِيبَ المَنَامِ

يَـا رِجَـــالُ الـلَّـه هَـذا حُـــبُّـكُـم

قَـــدْ أَتَاكُـم كُلكُـم قَـــومُـــوا قِـــيَــامِى

= وكان يقـول: إنه لترد علىّ الأثقال الـكثيرة لو وضـعت على الجبال انفـسخت فإذا كـثرت علىْ الأثقال وضعت جنبى على الأرض وتلوت فإن مع العُسْرِ يسرا إن مع العسر يسرا ثم أرفع رأسى وقد انفرجت عنى تلك الأثقال.

وأثر عن أهل الطريق أنهم قالوا: كـانت قوة الشيخ عبـدالقادر فى طريقه إلى ربه كقـوى جميع أهل الطريق شدة ولزوما وكانت طريقته التوحيد وصفاء الحكمة.

انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص ١٠٨ - ١١٥.

(١) الشيخ أحمد الرفاعى:

هو الشيخ «أحمد بن أبـى الحسين الرفاعى» منسوب إلى بنى رفاعة قـبيلة من العرب، وسكن أم عبيدة بأرض البطائح إلى أن مات بها. وكانت الرياسـة قد انتهت إليه فى طرييق القوم وعلومه، وشرح أحواله وكـشف مشكلاته. و عُرف بتـربية المريدين، وتتلمذ على يديه خلق كـثير، وهو أحد من ملك أسراره، وله كلام عال على لسـان الحقائق.

وكان رضى الله عنه يقول: «الكشـف قوة جاذبة بخاصيتـها نور عين البصيـرة إلى فيض الغيب فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافيـة حال مقابلتها المنبع إلى فيضه. ثم يتقاذف نوره منعكـسا بضوئه على صفاء القلب. ثم يترقى ساطعـا إلى عالم العقل فيتصل به اتصالاً معنوياً له أثر فى استفاضة نور العـقل على ساحة القلب فيشرق نور العقل على إنسان عـين الـسر فيرى ما خفى عن الأبصار موضعه ودق عن الأفهام تصوره واستتر عن الأغيار مرآه.

والكلام عنه كثير. توفى رحمـه الله يوم الخميس وقت الظهـر ثانى عشر جـمادى الأولى سنة ٥٧٠هـ ودفن فى قبر الشيخ يحيى البخارى.

انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص ١٢١ - ١٢٥.

واشْــــرَبُوا مِنْ صَـــرْفِ صَــافِى حُـــبِّـــهِ
شَـــرْبَةً يَـصْـــفُــــو لَكُم هَـذَا المَقَـــامِ

فَـــتَــــراهُ قَــــدْ تَجَلَّـى مُنْـعِـــمًـــــا
ثُمَّ حَـــيَّــــانَا بِفَـــضْلٍ وَسَـــلامِ

فَنَظَـرْنَا سَــــيِّــــداً مَـــا مِـــثْلِه
كَـــامِــــلاً هُو ذَاتِ وَصْـفِ فى الأَنَـامِ

فَــــسَــقَـــانَا شَـــرْبَةً فِي حَـــضْـــرةِ
مُــــذْ تَجلَّـى فى لَـيْــلاَتِ الـصَّــيَــامِ

هَـذِهِ خَـــمْـــرتُنَـا يَـا فُـــقَـــرَاءُ
مِن خُـــمُـــورِ المُصْطَـفَى بَدْرِ التَّـمَـامِ

هُو مُـــحَـــمَّـــدٌ سَـيِّـــد هُو سَنَدُ
إِســـأَلُوه يَـشْـفَـعْ لَنَـا يَوْم القِـيَــامِ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره قـام، وأذن العشاء وصلى بالمحابيس العشاء الآخرة. وجلس يذكر الله تعـالى وهم يذكرون معه. إذ أصبح الله تعالى بالصبـاح. فقام وصلى بهم صلاة الصبح. فلمـا فرغ من صـلاته قـام وخط فى أرض السـجن خطا[1]، وعمل فيه صفات مـركب، وقام وجلس فى وسطه. وقال لهم: يا فقراء من أراد منكم أن يطلب النجاة لنفسه ولخِلاّنه. فليقم يجلس معى فى هذا المركب. فإنه مركب النجـاة. فعند ذلك قامت المحابيس. وجلسـوا معه فى وسط المركب. فقـام وقال لهم: يا فـقراء حـرّكوا مـركبكم بذكر الـله تعالى. واذكروه بـالصدق والمحبة. وقولوا كلكم معى عدلاً مخلصا:

(١) فى الأصل: «وخط فى الارض السجن خط».

«لاإله إلاّ الله محمد رسول الله، ﷺ»

فلمّا رفعوا أصواتهم بذكر الله تعالى، وإذا بذلك الخط قد تحرك، وصار مركبا عظيما. وقد صار فى وسط البحر فقال لهم:

«يا قوم داوموا على ذكر الله تعالى»

فقام وفزّ من المركب، وصار واقفا على وجه الماء، وصار يجرى المركب خلفه حتى أوصله إلى البر. فعند ذلك نزلهم من المركب، وقال لهم:

سيروا إلى حال سبيلكم.

فراح كل و احد إلى حال سبيله. وقام حسين وتمشى ودخل من باب بغداد. وهو يقول:

«يا قوم ظننتم أنكم فرقتم بينى وبين حبيبى، وزعمتم أنه قد فاتنى منه نصيبى، أما علمتم أنه معى فى حضرتى ومغيبى. إن غبت فهو حبيبى، وإن حضرت فهو قريبى، وإن دعوته فهو مجيبى، وإن مرضت فهو طبيبى».

وبكى بكاءً شديداً، وأنشد يقول هذا الشعر:

تجلّى لى المحْبُوبُ فى القَلْبِ أخلاَهُ
عَن الغَيرِ حَتَّى صار قَلْبِىَ مَثْواهُ
وَقَربنى سَراً، والقَلْبُ قَدْ هَدَاهُ
وأَوْلاَ فى التَّوْفِيقَ مَوْلَى هُو اللَّهُ
وَفَكَّ خِتامًا(١) عن دِنَان(٢) مُدامُها
نُجومٌ، وأقْمَار، وشَمْسٌ، وحَياة
وَنَاولَنِى كَأسَاً كَان شُعَاعُهُ
كَبَرقِ، ولاَ برقَ بِحَالى مَحْياهُ

(١) فى الأصل: «ختام»

(٢) فى الأصل: «دنانى»

سَقَانِيَ مَنْ أهْوَى كَاسَاتِ حُبِّهِ
شَرابًا قَدِيمًا فذُقْنا جَلَّ مَعْنَاهُ
فَأسْكَرَنِى ذَاكَ المُدَامُ فَلَذَّ لِى
خطَابُ الذِّى أهْوَى بِقَوْلِى: يَاهُ
وَشَاهَدْتُ مَنْ أهْوَى فى حَالِ سُكْرَتِى
فَمَحْوِىَ إثْبَاتِى وَصَحْوِى(١) مَغْنَاهُ
فَغِبْتُ عَنِ الأكْوَانِ شُغْلاً بِحُبِّهِ
وَمَنْ كَانَ ذُو صَدْقٍ يفوزُ بِلُقْيَاهُ

---

(١) الإثبات ضد المحو.

والإثبات: عند الصوفية يعنى به إقامة أحكام العبادة برفع أوصاف العادة.

وله أسماء كثيرة مثل: إثبات المعاملات، وإثبات الموصلات، وإثبات الخصوص، وإثبات الحقيقة، وإثبات خلاصة أهل الخصوص.

وتحت كل معنى من هذه المعانى شرح كثير.

انظر فى «لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام» طبعة دار الكتب المصرية بتحقيقنا ١٩٩٦م.

أما المحو: فهو رفع أوصاف العادة وهو يقابل إقامة أحكام العادة كما قلنا فى الإثبات.

وله أيضا أسماء وأوصاف كثيرة جداً. كل منها يدخل عنوانا مثل:

محو أرباب الظواهر، محو أرباب السرائر، محو الجمع، المحو الحقيقى، محو العبودية، محو وجود عين العبد، محو أهل الخصوص، محو التشتت، محو المحو، إلى غير ذلك «انظره فى لطائف الإعلام. أيضا».

* أما الصحو فهو ضد السكر. وله أيضا تفسير هام عند جماعة الصوفية.

فالصحو عندهم: هو رجوع إلى الإحساس بعد غيبة حصلت عن وارد قوى. وهو نوعان: صحو الجمع، وصحو المفيق.

فصحو الجمع هو : يقال عنه مقام صحو الجمع. ويعنى به الإفاقة من سكر التفرقة والغيرية بالتحقيق بأحدية الجمع التى تنفى الأغيار والمغايرة. والمتحقق بهذا المقام هو صاحب مقام الاتحاد. وقد يعبر بصحو الجمع عن الفرق الثانى وهو المسمى بجمع الجمع بأحد معانيه وهو شهود الوحدة فى الكثرة.

أما صحو المفيق: أو مقام صحو المفيق. والمفيق من بلغ إلى أعلى المقامات، الذى هو مقام «أو أدنى». ■

فَكَمْ مِـنْ رِجَـالٍ شَـاهَدُوهُ فَـأَصْـبَـحُـوا
هُيَـامًـا سَكَارَى كُلُّ مَـن كَـانَ يَهْـوَاهُ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره. وإذا بالمؤذن قد قال:

الله أكبر . . الله أكبر.

فقال له حسين: تكذب[1]

فلما سمعوه «الناس» أنه قد كذّب المؤذن. قاموا إليه، ومسكوه، وقدهموابقتله. وقالوا له:

إيش هذا الكلام، الذى قلتـه. تكذب. ولا يكذب المؤذن الاّ من كفـر. وحلّ هرق[2] دمه فى الأربع مذاهب[3].

فقال لهم: أنا ما كذبته فى المقال. ما كذبته إلاّ فى الكلام[4] فلو قال الله أكبر بصدق الإشارة ما حملته هذه المنارة . ولتفتتت من تحت أقدامه الحجارة.

= والسكر هو: غيبة بوارد قوى، والمراد بالغيبة: عدم الإحساس. فمن غاب بوارد قوى سمى سكرانا وذلك أن العبد إذا كوشف بنعت الجمال حصل له السكر وطرب الروح. وهام القلب. فإذا عاد من سكره سمى صاحيا.

«انظر لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام بتحقيقنا» طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦م.

(١) هنا تصاعد الأمر مع العامة تصاعدا لابد معه أن يتخذ موقف حاسم مع الحلاج. وتمهد الآراء لإقامة الفتاوى ضده. وتكمل الإدانة. على هذا العصر بأكمله.

(٢) أى إزاقة دمه.

(٣) المذاهب الأربعة:

مذهب الإمام مالك، ومذهب الإمام الشافعى، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومذهب الإمام أبو حنيفة النعمان.

وكان هناك عدد كبير من المذاهب لم يبق منها إلا الأربعة لكثرة متبعيها. وانتشارها.

(٤) المقصود أنه ما كذبه فى المقال ولكن كذبه فى الحال والقصة فيما بعد تؤكد ذلك. وأظن العلاقة مفهومة ما بين الحال والمقال.

لكن أن تكون بين المقال والكلام!!

هكذا كانت دائما أخطاء النسّاخ.

وأقول مرة أخرى. إن حال المؤذن لم يكن على مستوى قوله. وهو يقول: الله أكبر. هذا ما قصده الحلاج بالضبط خلال هذه القصة. مما دفعت لقتله.

وانتشر[1] منهم وهرب. فلحقوه فهرب. ودخل مدرسة فقفلوا عليه أبوابها، ومضوا إلى الخليفة ، وأعلموه بذلك . وقالوا له:

إعلم يا خليفة الله فى أرضه. أن حسين الحلاج قد كان غائبا وجاء. فقال المؤذن: الله أكبر. فقال له حسين: تكذب. وما يكذب المؤذن إلاّ من كفر وحل هرق دمه.

فقال لهم الخليفة: أين هو؟ أمسكوه.

فقالوا له: حبسناه فى المدرسة. ويكون تحت علمك الشريف.

فلما سمع الخليفة هذا الكلام. قام من وقته وساعته وهو ممتزج بالغضب. وسار هو وإيّاهم . ولم يزالوا سائرين والخليفة معهم إلى أن وصلوا إلى المدرسة فوجدوا «حسين» قد خرج منها. وقد كبرً حتى ما بقى يسعه مكان. فما استجرأ أحد أن يتقدم إليه من خوفهم منه، ومن الهيبة التى عليه. فتركوه، وساروا وخلّوه. فلما أصبح الله بالصباح إجوا إليه فوجدوه وهو يبكى بكاءً شديداً. فلما رآهم أنشد يقول:

خُذِ القَنَاعةِ مِنْ دُنْيَاكَ وارْضَ بِهَا
وَخُذْ لِبَدَنِك مِنْهَا رَاحَةَ البَدنِ
وَقُلْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأجْمَعِهَا
هَلْ رَاحَ مِنْهَا سِوى بالقُطْنِ وَالْكَفَنِ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره سار وتركهم، ولم يقدروا عليه، وغاب عنهم مدة ثلاثة أيام. فجاء ودخل من باب بغداد. فوجدوه على صورته الأولى. فقاموا إليه ومسكوه وكتفوه. فلما رأى روحه قدّام الخليفة، وهو مكشوف الرأس، مكتف. برك وباس الأرض. وسلم على أمير المؤمنين. وبكى بكاءً شديداً وأنشد يقول:

(١) لا أدرى معنى «فانتشر» لعله أيضا خطأ ناسخ والمقصود أنه انتصر. بمعنى أكّد هروبه مرتين. كما هرب متصرا من قبل بفكرة المنديل حينما طار به، والسفينة التى هرب بها من السجن. . إلخ. وربما كان المعنى (تسلل) ما دام فى الأمر «هروب».

الخمر دنّى، ودنُّ الخمر ريحانى

وَمَجلِسُ الذِّكْرِ والتَّسبِيحُ قُرآنِي

مَا يَشْرَبُ الخَمرَ إلاَّ مَن يكُنْ بَطَلا[1]

يُطَلِّق النَّومَ لَم تَغمض له أجفان

ويَتْرُكُ النَّوْمَ لَمْ يَعرِفْ حَلاوتَهُ

جَفَنَا لجفن الكَرى حَتَّى بَقى فَانى

إبْنُ الرِّفَاعِى[2] رفعْ قَدْرُه بِها وَعَلا

وإبْنُ أدْهم[3] سَاب مُلْكُه الفَانى

أمَّا الجُنَيد[4] تَجَرَّد فبقى بطلا

وإبن بركات[5] صَار الكُلُّ إخْوانى

(١) فى الأصل: «بطل». (٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) إبن أدهم: هو أبو إسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور كان من كورة بلخ من أولاد الملوك. كان فريداً فى طريقه، كبير معاصريه، ومن مريدى الخضر، عليه السلام، قابل عدداً كبيراً من رجال الصوفية واتصل بالإمام أبي حنيفة ومنه تعلم العلم. كان فى صدر حياته أميراً على بلخ، وذهب ذات يوم للصيد، وجرى وحده يقتفى أثر غزال. فجعل الله الغزال يخاطبه بلسان فصيح، وفي رواية فجاءه صوت يقول له: «ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت فتاب وترك كل شئ». ودخل طريق التصوف واتصل بالفضيل بن عياض وسفيان الثورى. ولم يأكل بعد توبته طعاماً إلاّ من كسب يده. وله أقوال كثيرة فى التصوف.

منها: صحبة الله هى الإخلاص فى اتباع أوامره. وينبع الإخلاص فى العبادة من صفاء المحبة. وينتج الصفاء فى محبة الله من بغض المرء للرغبة والشهوة. فمن ارتبط بشهوته ابتعد عن الله. ومن ابتعد عن شهوته اقترب من الله.

انظر (كشف المحجوب ص ١٢٩. وانظر الطبقات الكبرى جـ١ صـ ٥٩.

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) (ابن بركات):

هو الشيخ بركات الخياط الذى توفىسنة ٩٢٣هـوهو نفس العام الذى دخل فيه ابن عثمان مصر. كان من الملامتيةوهو شيخ أفضل الدين،وكذلكشيخ الشيخ رمضان الصائغ الذي بنىله الزاوية. ء

لَمَّا تَجَلَّت عَلى الحَلاَّجِ هَامَ بِهَا
أفْتُوا عَلَيْه وهُمْ سَبْعُون دِيوَانِ
وَقَالُوا: قَدْ كَفَرْ وَطَغَى
حَاشَاهُ من الكُفْر بَلْ، كَان ربَّانى
مَنْ خَاضَ بَحْر الهَوى يُخْرج جَواهِرَه
وإِلاَّ يُنَادوا عليه الأبْطال كَسْلانِ
أنا الهِزَبرُ(*) أنَا الحَلاَّج يا فُقَرا
فَتَّتُ سَنَواتِهم من عِظَمِ سُلْطَانِى
أنَا الّذِى قُلتُ لاَ تُوذُن فَما حَضَرت
شَاهَدْتُ دِيكَ إِلَه العَرْش بأعيانى
والِلّه والِلّه والأيمانُ يَلْزَمُنى
لولا يَقُولوا دُعَا الحَلاّجُ بُرهَانِ
لأصِيحُ فِيهم كَمَا صَاحَ الفَتَى البَدَوِى(١)
وأخرب لبغداد ما خلى لها أركانِ

* كان رضى الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى كان الناس يلومونه على ذلك. وقال الشيخ أفضل الدين عنه: بينما نحن يوماً خارج باب زويلة بالقرب من بيت الوالى وإذا هو بشخص تاجر مغربى راكب بغلة فمسكه الشيخ، رضى الله عنه، وقال: هذا سرق بيتى فدخلوا به بيت الوالى. فقالوا للوالى يا سيدى اضربه، وإن مات زنا أزن دينه. فلما فرغ الوالى من عقابه نظر إلى وجه التاجر وقال للوالى. أنا غلطت ما هذا الذى أخذ حوائجى وسرق بيتى. فضرب الوالى الشيخ بعصاه فخرج ورقد على بابه وقال: والله يا زربون ما أفارق هذه العتبة حتى أعزلك. فقام فجاء القاصد بعزله. وتحكى عنه حكايات غريبة جداً.

انظر ذلك فى (الطبقات الكبرى للشعرانى جـ٢ صـ١٣٠).

(*) (اسم من أسماء الأسد).

(١) لعله (السيد أحمد البدوى) ولهذا التحليل من وجهة نظرى سببان: =

لكن سَـــمِــعْتُ رِجَـــالَ اللَّهِ قَــدْ نَطَـقُــوا
فَـمُتُّ شَـهِــيـداً كَــمـا مَـاتَ ابنُ عَــفَّـانِ(1)

= أولهما: أن هذه السير كانت تقال أول ما تقال على جمهور الموالد بطنطا فى الاحتفالات الدينية مثل مولد (السيد أحمد البدوى) بطنطا وكان لابد على المغنى أن يدخل اسمه.

الثانى: أنه من أقطاب الصوفية المعروفين فكيف لا يكره كناية وسط هذا المديح والاحتفاء بأسماء الشيوخ الذين مر دكرهم.

وسأذكر فى ترجمته ما يؤكد ذلك. وأنه من الفتيان الذين أثبتوا قوة ومدى فى الطريق.

* وهو السيد الحسيب النسيب أبو العباس سيدى أحمد البدوى وشهرته تغنى عنه. كان مولده بمدينة فاس بالمغرب لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج إليها حين كثر القتل فى الشرفاء فلما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلاً يقول له فى منامه: يا على انتقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة. فإن لنا فى ذلك شأناً. وكان ذلك سنة ٦٠٣هـ.

قال الشريف حسن أخو سيدى أحمد البدوى. فما زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فيتلقونا بالترحيب والإكرام حتى وصلنا إلى مكة فى أربع سنين فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا ومكثنا عندهم حتى توفى والدنا سنة ٦٢٧هـ فأقمت أنا وإخوتى وكان أحمد أصغرنا سناً وأشجعنا قلباً وكان من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبدوى. فاقرأته القرآن مع ولدى الحسين، ولم يكن فى فرسان مكة أشجع منه. فلما أحدث عليه حادث الوله، (والوله: مصطلح صوفى). تغيرت أحواله واعتزل الناس ولازم الصمت فكان لا يكلم الناس إلاّ بالإشارة. ثم رأى فى شوال سنة ٦٣٣هـ قائلا يقول له فى منامه قم واطلب مطلع الشمس. فإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى ضَنْدتا (طنطا حالياً) فإن بها مقامك أيها الفتى فقام من منامه وشاور أهله وسافر إلى العراق وتلقاه أشياخها منهم سيدى عبد القادر وسيدى أحمد الرفاعى فقالا: يا أحمد مفاتيح العراق، والهند، واليمن، والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاختر أىّ مفتاح شئت فقال لهما: لا شأن لى بمفتاحيكما. ما اخذ المفتاح إلاّ من الفتّاح. فلما فرغ من زيارة أضرحة أهل العراق من الأولياء. ثم ذهب إلى طنطا حسب الأمر الوارد له. وهناك قصة طويلة يذكرها الشعرانى فى كتابه (الطبقات الكبرى انظر جـ١ صـ ١٥٨ - ١٦٣.

(1) ابن عفان: هو: عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين. وهو: عبد الله، وقيل أبو عمر، وقيل فى تكنيته بأبى عبد الله إن رقية بنت رسول الله (ﷺ) ولدت له ابنا فسماه عبد الله فاكتنى به ومات. ثم وُلِد له عمرو فاكتنى به إلى أن مات.

وقيل: إنه كان يكنى أبا ليلى عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف. ويجتمع مع نسب رسول الله (ﷺ) فى عبد مناف . ولقب بذى النورين لأنه تزوج ابنتى رسول الله (ﷺ)، [رقية وأم كلثوم].

ولد عثمان فى السنة السادسة بعد عام الفيل. وله فضائل ومآثر فى الإسلام مشهورة يضيق عنها المكان هنا. وعن مقتله رضوان الله عليه يقول صاحب نهاية الأرب. قال: فاقتحموا على عثمان=

مَنْ بَاحَ بـالسِّـرِّ كَـانَ القَـتْلُ سِيَـمـتُـهُ
بـينَ الـرِّجَـالِ ولا يُـؤْخَـذُ لَهُ ثَـانِ
مَنْ بَـاع دُرًّا إلى الفَـحَّـامِ ضَـيَّـعَـهُ
الدُّرُّ يَـنْبَـاعُ بالقِـسْطَـاس يا اخُـوَانى
أنَا مـعـصب وسَـبْـقُ الشَّـرْعِ يَلْزَمُـنى
سَـبـعـين ضـربةَ بِإِذْنِ الـلَّهِ مَـادَانى
والخِضْرُ(١) الأخْـضـر مـؤُدبٌ لاَ يُكَلِّمُـنى
والأرْبَعين(٢) يَـقُـولوا هَـكَـذا كَـانِ

= داره من دار عمرو بن حزم حتى ملأوها، ولم يشعر من بالباب منهم. ولما صاروا فى الدار ندبوا رجلاً ليقتله فدخل عليه فـقال: اخلعها ونتركك قال: لست خاعاً قميصاً كانيه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة، ويهين أهل الشقاوة فخرج عنه فأدخلوا عليه رجلا من بنى ليث فقال لست بصاحبى لأن النبى (ﷺ) دعا لك أن تُحفظ ولن تُضَيَّع فرجع عنه وفارق القوم. ودخل عليه رجل من قريش فـقال له: أن النبى (ﷺ) دعا لك أن تُحفظ ولن تُضَيَّع فرجع عنه وفارق القوم. ودخل عليه رجل من قريش فقال له: إن النبى (ﷺ) استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دماً حراماً، فرجع وفارق أصحابه ودخل عليه جماعة كلهم يرجع، آخرهم محمد بن أبى بكر فلما خرج ثار قتيرة وسودان بن حمران والغافقى فضربه الغافقى بحديدة، وضرب المصحف برجله فدار المصحف واستقر بين يديه. وجاء سودان ليضربه فأكبت عليه نائلة بنت الفرافصة، واتقت السيف بيدها فقطع أصابعها وشيئاً من الكف ونصف الإبهام فولت فغمز أوراكها وقال: إنها لكبيرة العَجُز وضرب عثمان فقتله. وقيل: إن الذي قتله كنانة بن بشر التُجيبى. وكان عثمان قد رأي النبى (ﷺ) في تلك الليلة وقال له: إنك تفطر الليلة عندنا [انظر جـ١٩ من نهاية الأرب صـ٤٨٥ وما بعدها].

(١) الخضر: عند جماعة الصوفية كناية عن البسط كما يكون «إلياس» كناية عن القبض.
وأما كون الخضر (عليه السلام) شخصا إنسانياً باقياً من زمان موسى (عليه السلام) إلي هذا العهد أو روحانياً يتمثل بصورته فغير محقق عندى (الكلام هنا للقاشانى) بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل، وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس.
(انظر اصطلاحات الصوفية صـ ٩٦) والحقيقة أن الخضر باقٍ حى كما قال الشيخ الإمام المرسى أبو العباس وسيدى أحمد التجانى.
انظر: لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى.
وجواهر المعانى سيدى على حرازم برادة.

(٢) الأربعون هم النجباء. القائمون بإصلاح أمور الناس، وحمل أثقالهم، المتصرفون في حقوق الخلق ولا غير.

لَمَّا أَتَى القُطْب[1] والأَبْدَال[2] قاطِبَةْ

ثَلاثمِائةِ[3] وَهُمْ يَتْلُونَ قُرأنِ

وَهَذه قِصَّةُ الحَلاَّجِ قَدْ خُتِمَتْ[4]

فَيَا أَسَفِى عَلَى ذَاكَ الرُّوح رَيْحانِ[5]

من بَعْد صَلاة اللَّهِ عَلَى النبىّ الهَادى

أَفْضَلَ مُرْسَلِ من بنى عَدْنَانِ

والآلَ والصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعين

مَنْ بهم أَرْجُو النَّجَاةَ مِن النِّيرَانِ

---

(١) القطب: هو الواحد الذى هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو علي قلب إسرافيل (عليه السلام).

(٢) الأبدال أو البدلاء: هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك فيه جسداً علي صورته بحيث لا يعرف أحداً أنه فقد وذلك معنى البدل.

وهم على قلب إبراهيم (عليه السلام).

(انظر اصطلاحات الصوفية، ولطائف الإعلام للقاشانى).

(٣) الثلثمائة: هم النقباء الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس (الأشراف مطلع).

واستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستاير لهم عن وجود السرائر.

انظر معجم (لطائف الإعلام - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦م - اصطلاحات الصوفية للقاشانى).

(٤) المقصود أنها انتهت بالقتل أو هكذا يراها.

(٥) فى الأصل: (الريحانى).

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره قال له الخليفة: يا حسين كل شىء سامحناك فيه إلا تكذيب المؤذن فمن فعل ذلك فقد حلّ حرقه، فما تقول فى هذا الأمر؟

فقال له حسين: يا خليفة الله فى أرضه، المحبة أولها حرق، وأوسطها غرق، وآخرها قتل.

فلما سمع الخليفة منه هذا الكلام قال له: يا حسين إن كنت مجنونا[1] اعقل، وإن كنت سكران أفق، فإنه قد قرب أجلك، وقتلك، لأنك كفرت، والكافر حل قتله.

فقال له حسين: يا أمير المؤمنين

ذكر المحبة يا مولاى أسكرنى
وهل رأيت محبا غير سكران؟

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول هذا الشعر الآتى ذكره كما ترى:

لَمَّا ذكَرْتُ عَذَابَ النَّارِ أزْعَجَنى
ذَاكَ التَّذَكُّرُ عَنْ أهْلى وأوْطَانِى

وَصِرتُ فى القَفْرِ أرْعَى الوَحْشَ مُنْفَرِدًا
كَمَا تَرانِى عَلَى وَجْدِى وَأحْزَانِى

وَذَا قَلِيْلٌ عَلى مِثْلِى، لِجُرْمَتِه
فَمَا عَصَى اللهَ عَبدٌ[2] مِثْل عِصْيَانِى

نَادُوا علىَّ فِى مَجَالِسِكُمْ هَذَا
المُسِئُ وَهَذَا المُذْنِبُ الجَانِى

(١) فى الأصل: (إن كنت مجنون)، وكذلك (إن كنت سكران نحيق).

(٢) فى الأصل: (عبدًا).

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره، قال له الخليفة:

يا حسين إن أهل بغداد، وعلماءها يريدون مناظرتك، ومجادلتك.

فقال له: حبّا وكرامة أحضرهم بين يديك.

فقام الخليفة، وأرسل خلفهم، وأحضرهم، وأكرمهم غاية الإكرام، وقال لهم: هذا حسين قد أحضرناه بين أيديكم فما تقولون فيه؟

فقال له الفقهاء والعلماء: يا حسين أنت تُكذِّب المؤذن فما يكون عندك فى هذا الكلام؟ فإنه لا يكذِّب المؤذن إلا من كفر، وحل حرقه، فما تقول فى هذا الكلام؟

فقال لهم: لا تخذلونى بكلامكم.

فقالوا له: بيّن لنا ذلك.

فقال لهم: احفروا لى فى هذا المكان حفيرة[1] واملأوها بالفحم والنار، وأنا أبين لكم ذلك.

فقاموا فى الحال، وحفروا له حُفَيْرة وملأوها بالفحم وأطلقوا فيها النار حتى بقى جمرا.

فقال حسين: احضروا لى أمير المؤمنين.

فحضر فقال حسين: يا أمير المؤمنين هات هاون نحاس، فأمر الخليفة بإحضار هاون نحاس، وكان وزنه أربعين رطلا بغداديا، فلما أحضروه قام حسين وألقاه فى وسط النار، وصبر عليه حتى بقى جمرة نار، ففر حسين وجلس على الهاون، وقام ووقف على رجليه فى وسط النار على الهاون، وقال لهم: يا علماؤنا، ويا فقهاؤنا، ويا عامة، ويا سوقة، ويا أهل بغداد، كل من كان منكم يريد مناظرتى ومجادلتى فليجىء ويجلس معى فى هذه النار، على هذا الهاون النحاس حتى تحرق النار جميع بدنه.

(١) تصغير؛ (حفرة).

فلما سمعوا من حسين ذلك الكلام ولّوا الأدبار وركن[1] الكل إلى الفرار.

فقال لهم حسين: يا ويلكم تهربون من نار الدنيا ولا تهربوا من نار الآخرة، فمن أراد أن ينجو[2] من نار الآخرة فلا يأكل الحرام، ولا يظلم الأيتام، ولا يترك الصلاة والصيام، ثم إنه صار يحدثهم ويوعظهم وهو واقف[3] على الهاون فى النار.

فلما زاد به الغرام من العشق والهيام حط أصابعه فى أذنيه وقال: الله أكبر، الله أكبر، فانطفأت[4] النار.

وتفرقع الهاون، وصار ستين قطعة.

فقال حسين: يا أمير المؤمنين لو قال المؤذن الله أكبر، بصدق الإشارة لما حملته هذه المنارة، وكانت تفتتت من تحت أقدامه الحجارة، أنا ما كذبته فى المقال وإنما كذبته فى الكلام[5] فإنى نظرت إلى ديك العرش.

فلما رأت أهل بغداد منه هذه الكرامة، ولّوا الأدبار وركنوا[6] إلى الفرار، وولوا هاربين وقالوا ليس لنا به طاقة.

فقام حسين تمشى، وجاء إلى عند شيخه، ونام عنده تلك الليلة، وإذا برجل قد دخل على الخليفة، وكان اسمه خالد وناوله ثمانين فتوى[7]. على حسين الحلاج بالكفر، وتلك الفتاوى من أربعة وثمانين عالما من علماء بغداد، وعلماء الشام وعلماء مصر، إن فى قتل الحلاج إصلاح للمسلمين[8].

فلما قرأهم الخليفة، وفهم معناهم، أرسل إلى الشيخ الجنيد يعلمه بالقصة من

---

(١) فى الأصل: (وارْكنوا). (٢) فى الأصل: (فمن الارآ ادلينجا).

(٣) فى الأصل: (وهو واق). (٤) فى الأصل: (فانطفت).

(٥) مرة أخرى أعود إلى هذه الإشارة وأعدل صياغة الناسخ التى كان يجب أن تكون على هذا النحو: «أنا ما كذبته فى المقال ولكن كذبته فى الحال» أى الحال التى هو عليها وقت الأذان.

(٦) فى الأصل: (وأركنوا). (٧) فى الأصل: (فتوه).

(٨) يريد الإشارة هنا إلى إدانة علماء هذا العصر هل كان الحلاج فى حاجة إلى أربعة وثمانين فتوى حقًا. ومن علماء بغداد والشام ومصر!

أولها إلى آخرها، وليس فى الإعادة إفادة[1] وقال له: يا شيخ أجْانا[2] الأمر إليك فى قبض حسين الحلاج وأرسله إلى عندى مكتف[3] حتى إننا نقاصصه[4] بما يوجب فى شرع الله تعالى، لأنه زاد فى كفره.

فلما سمع الجنيد من الخليفة هذا الكلام مسك حسين وكتفه كتافا وثيقا، وبعث به[5] إلى الخليفة يقول له: يا خليفة الله فى أرضه، أرسلت حسين إلى بين يديك تفعل به ما قدر الله تعالى عليه، وما يوجب عليه فى الشرع الشريف.

فلما نظر حسين روحه مكتف، وهو[6] بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا، وأنشد يقول الآتى ذكره:

سَلِمَتْ رُوحِي مِنَ الْبَلْوى لِمُتْلِفِها
إلاَّ لِعِلْمى بأن الْمَوْت يُحْيِيهَا

نَفْسُ الْمُحِبِّ عَلَى الإقْعَانِ صَابِرَةٌ
لَعَلَّ مُمْرِضُها يَوْمًا يُدَاوِيهَا

ونَظْرةٌ مِنْكَ يَا سُؤْلِى وَيَا أَمَلى
أَشْهى إِلىَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

وَلَيْسَ لِلنَّفْسِ آمَالٌ تُؤَمِّلُها
سِوَى رَضَاكَ فَذَا أَقْصَى أَمَانِيها[7]

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره قال له شيخه: يا حسين اصبر فإن الوقت قد قرب،

(1) عكس المثل القائل «فى الإعادة إفادة».
(2) فى الأصل: (الجنا).
(3) الصحيح (مكتفا).
(4) المقصود: نقتص منه.
(5) فى الأصل: (وبعث إليه إلى الخليفة).
(6) فى الأصل: (وهوا).
(7) أوردها الشيبى فى الديوان ببعض تغييرات وقال هى من الأبيات المنسوبة للحلاج ثم أوردها فى هامش الصفحة قائلاً: لعلها لشبابة بن الوليد العذرى من رجال القرن الثانى الهجرى.
انظر الأبيات فى الديوان ص ١٢٨ الطبعة الثانية مقطع ٦٢.

والأجل قد حضر. سلمها تسلم. لقد أتعبتني، وأتعبت نفسك. وأتعبنا الخليفة والعلماء والفقهاء والعامة والسوقة وأهل بغداد. وأنا أقول لك أكتم سرّك وإلاً ما تسلم.

فلما سمع من شيخه هذا الكلام علم أنه مقتول لا محالة[1] فالتفت يمينًا وشمالاً وقال: ائتنى بدواة وقرطاس. فأتوه بما طلب. فكتب فيه يقول:

«لكم مهجتى طوعًا، لكم مهجتى رضى، لكم جسدى منى لكم دمى حلوا».

ثم إنه ألقى[2] الورقة فى الهواء[3] فغابت ساعة ثم رجعت إليه مكتوب فى قفاها[4].

أنت إن كنت منا وتريد قرب وصْلنا
أطِعْنا[5]. قتل النفوس فى شرعنا حلو أقرب[6]

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من هذا الكلام بكى بكاءً شديدًا حتى أغمى عليه. فلما أفاق أنشد يقول:

اِقْتِلُونى يَا ثِقَاتِى[7]	إنَّ فِى قَتْلِى حَيَاتِى
وَحَيَاتى فِى مَمَاتِى	وَمَمَاتِى فِى حَيَاتِى

فما تم كلامه إلاّ وأخذوه إلى المصلب، وقطعوا يديه، ورجليه والخليفة واقف ينظر. وجميع الناس كذلك. فبينما هم واقفون[8] وحسين أنشد يقول:

أقْتُلُونِى واحْرِقُونى	فِى عِظَامى البَالِيَاتِ
تَجِدُوا سِرَّ حُبِّى	فِى طَوِىِّ البَاقِيَاتِ

(١) فى الأصل: (لامحا فلتفت).
(٢) فى الأصل: (ألقا).
(٣) فى الأصل: (فى الهوى).
(٤) أى ظهرها الآخر.
(٥) فى الأصل: (طعنا).
(٦) هكذا فى الأصل.
(٧) فى الأصل: (ياثقا).
(٨) فى الأصل: (واقفين).

فَـأنَا أَسْـتَـغْـفِـرُ اللّه مِنْ عَـظِيمِ السَّـيِّـئَـاتِ
أقْـتُلـونِى يَا ثِـقَـاتِى إنَّ فِى قَـتْـلِى حَـيَـاتِى

قال الراوى يا سادة:

فلما فـرغ حسين من شـعره، وإذا بشـيخين عظيـمين من أكابر بغـداد. وكان الخليفة يسمع لقولهم، وحديثهم لأنهم كانوا عنده فى أكمل المنازل، فى الإشارة. وكان لا يأخذ إلا بشهادتهم. وكانوا قُضا قضاة بغداد[1]، وأكبر علمائها.

فلما دخلوا على الملك الخليفة. وترحموا. بعد ذلك رد عليهم السلام وقال: ما شأنكم. فـقالوا: نشهد أن حـسين الحلاج قد كـفر لأنه كان ماشـيًا ذات يوم فى السوق، وعليه جُبَّة صوف. فقال له الناس:

أبصِّرتنا يا حسين ما فى جيبك؟ فقال لهم: الله[2].

فعند ذلك لامـه العلماء، ونحن معـهم. فقال لهم: اذهبـوا فهذا معـبودكم. وأشار إلى الأرض بأصبعه.

فقالوا: كيف تعمل معبودنا فى الأرض، ونحن نعبد الله وحده لا شريك له.

فقال: ايتونى[3] بقفه ومسحه. فحفر موضع ما أشار لهم فبان كنز ذهب. فقال لهم: يا قضاة أنتم تبيعون دينكم بدنياكم. ولـم تعبدوا الله على الحقيقة.

وقال حسين: يا سادتى العلماء. أمّا قولـى لكم الأول فى قضية الجُبّة فى قولى إن فيها الله. هى أنا من مصنوعـاته. والكلام على الكنز. فإنكم تعملون بالذهب الحق باطلاً. والباطل حقًا[4]. فكأنكم عبدتم الذهب، ولم تعـبدوا الله تعالى عن حقيقة. لأن فى الحقيقة من أحب شيئًا سوى الله ورسوله صار عبده.

فلما سـمع الخليفة ذلك أمر أن يحـبسوه تلك الليلة، وأن يقيـده، ويزنجره[5]،

---

(١) قاضى القضاة. منزلة تعلو منزلة القاضى فقط.

(٢) من المقولة الشهيرة عنه: «ما فى الجُبّة غير الله».

(٣) فى الأصل: (أتونى). (٤) فى الأصل: (والباطل حق.

(٥) والزنجرة: هى ربطه بالجنزير. وكان المفروض أن يقول يجنزره. نسبة إلى الجنزير.

ويكتفه في عامود رخام. فعند ذلك دخل عليه رجل من الأولياء الكبار. وكان من أصحابه وسلم عليه ووجده بتلك الحالة في أسوء حال.

فقال له حسين: ما جاء بك في هذه الليلة.

فقال: يا مولاى جئت أسألك عن ثلاثة أشياء عن الصبر، والفقر، والولاية.

فقال له حسين: بات عندى، وأنا أريك الليلة اثنين وغدًا أريك الثالثة.

فنام تحت رجليه إلى قليل من الليل. فنعس تحت رجلى حسين. لأنه كان مصلوبًا[1] في عامود، واقفًا لا يستطيع الجلوس. فما حس إلاّ وشيء يحسس عليه وينبهه ويقول له:

- أفق يا شيخ فلان.

فقال: من ينبهني؟.

فقال له حسين: أما قلت[2] لي أريني الثلاث كرامات؟.

فقال له: من فكك من الحديد.

فقال: الله تعالى.

وأخذه بيده، وجاء به إلى سور[3] السجن. فأشار حسين بيده إلى الحائط فانفتح، وبان عن فلاة واسعة وهي تقيد أضوء من نور الشمس، والقمر، والنهار، وذلك في ظلمة الشهر.

فقال لحسين: ما هذا النور يا سيدى؟.

فقال: اذهب وتفرج في ذلك الوادى من اللؤلؤ والرطب. والصغير من الحصى[4] جواهر. والحجارة الكبار من الكهرمان، وأنواع كثيرة.

فرجع إلى حسين وأعلمه الخبر فقال له:

---

(١) في الأصل: (لأن حسين كان مصلوب). بالإضافة إلى الخطأ النحوى يوجد تكرار للاسم.

(٢) في الأصل: (ما قلت). (٣) في الأصل: صور).

(٤) في الأصل: (الحصا).

أنت سألتنى عن الصبر، والفقر. فأنت رأيتنى وأنا صابر على السجن، والضيق فى الحديد، ولم أفك نفسى.

والثانى: لما ضربنى السجان على ثمن الزيت صارحتى يضىء السجن، ولم أعطه الدرهم الفرد، والله تعالى قدّرنى على أن تبقى الرمال معادن، ولم أعط السجّان منها شيئًا. فهذا الصبر، والفقر. ولما يقتلونى أريك الثالثة وهى الولاية.

فلما كان صبيحة ذلك النهار أرسل وراءه الخليفة إلى بين يديه. فسلم أمره إلى الله تعالى. وكتف نفسه، وبرك، وصبر، واحتسب بالله للقضاء والقدر قال: فلما رأت المشايخ والأولياء منه هذه الكرامات وهذه الفضائل. قام الشيخ الشبلى[١]، رضى الله عنه، وخرج بالفقراء[٢]، وهم ستون فقيرًا[٣] فى تكبير وتهليل لله رب العالمين. وخرج شيخ الجنيد ومعه أربعين فقيرًا وهم فى تكبير وتهليل لله رب العالمين. فكادت مرايرهم تقطر من حزنهم على حسين الحلاج. وعلا فى بغداد الذكر والضجيج حتى خيّل إلى أهل بغداد أن الأرض قد خسفت بهم.

---

(١) الشيخ الشبلى.

هو: أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى كان من مشاهير المشايخ، وكانت حياته خالية من كل شائبة، وتمتع بكمال الوقت مع الله. قال عنه صاحب كشف المحجوب.

الشبلى: سكينة الأحوال وسفينة المقال.

وامتدح الكثيرون إشاراته فى طريق التصوف قيل إنه ابن رئيس حجاب الخليفة وقد تاب فى مجلس خير النسّاج وصار بعد ذلك مريدًا للجنيد، واتصل بكثير من المشايخ. وأعمهم الحسين بن منصور الحلاج صحبة فى كثير من أموره. وكان يقول مثلى مثل الحلاج إلا أنه تكلم وأنا صمت.

وكان يقول: المعرفة أولها الله وآخر مالا نهاية.

وكان يقول أيضًا: (العارف لا يكون لغيره لاحظا ولا لكلام غيره لا فظاً.

وكان يقول: المحب إذا لم يتكلم هلك والعارف إذا تكلم هلك.

وحُكى: أن رجلاً صاح فى مجلس الشبلى فرمى به فى دجلة وقال: إن كان صادقاً نجاه الله تعالى كما نجىّ موسى (عليه السلام) وإن كان كاذبًا أغرقه كما أغرق فرعون.

تفقه الشبلى على مذهب الإمام مالك وكتب الحديث الكثير عاش سبعًا وثمانين سنة وتوفى سنة ٣٣٤ هـ ودفن ببغداد فى مقبرة الخير زان وقبره فيها.

انظر كشف المحجوب للهجويرى صـ ١٨٥.

وانظر الطبقات الكبرى للشعرانى جـ ١ صـ ٨٩.

(٢) فى الأصل: (بالفقر).

(٣) فى الأصل: (وهم ستين فقير).

فقام الشيخ الجنيد شيخ حسين الحلاج وقال له:

- يا ولدى يا حسين ألك حاجة قبل فراق الدنيا، حتى أفوز بقضائها[1]؟.

فقال: نعم. أريدك أن تحضر لى أختى الحنونة حتى أنى أوصيها بوصية من بعدى. فذهبوا إلى أخته، وأتوا بها. فحضرت مكشوفة الوجه فقال لها أخوها حسين:

يا أختى أما تحمى وجهك من هولاء الرجال.

فقالت: يا أخى وأين الرجال؟ لو كانوا رجالاً ما أنكروا حال الرجال.

فقال لها: يا أختى بهذا قدّر الله تعالى. وبهذا يعرف الله تعالى، ولا مفر من قضاء الله وقدره. وقد نفذت فى دعوة الشيخ الجنيد. وأريد أن أوصيكى،

يا أختى بهذه الوصية:

إذا رأيتهم قد حرقونى خذى من رمادى كمشة[2]، وصرّيها عندكِ، واحتفظى بها. بعد ثلاثة أيام تفيض الدجلة على أهل بغداد حتى أنهم يعاينوا الغرق. فيأتون إليك[3]، ويتضرعون[4] بين يديك. فقومى وخذى من ذلك الرماد الذى عندكِ[5] وذرى منه قليلاً فى ذلك الماء. وقولى له: ارجع يا مبارك من حيث أتيت. فإن أخى قد حلل جميع من أثنى عليه. لأجلِ عين تكرم مرج عيون. لأجل شيخى الجنيد، رضى الله عنه.

فلما سمعت أخته منه هذه الوصية. وهذا الكلام بكت بكاءً شديدًا وأنشدت تقول الشعر الآتى ذكره كما ترى:

يَا عَيْنُ إِبْكِي عَلى حَبِيبى واسْجِعى

عَلى شَقِيقِى وَأَيْضًا قِطْعَةُ الكَبِدِ

---

(١) فى الأصل: (بقضاها).

(٢) مقدار قبضة اليد الواحدة.

(٣) (فياتوا إليكى) هكذا فى الأصل.

(٤) فى الأصل: (ويتضرعوا بين يديكى).

(٥) فى الأصل: (عندكى).

كُنَّا جَمِيعًا شَبِيه رُوحَيْن فى جَسَدِ[1]

لاَ نَفْتَرِقُ أَبَدًا مِن سَائِرِ الأَبَدِ[2]

فَفَرَّقَ الدَّهْرُ شَمْلاً كَانَ مُجْتَمِعًا

وخَلَّفَ الحُزْنَ والأَشْجَانِ فِى كَبِدِ[3]

فَلَمْ أَزَلْ باكِيَةً مَا دَمْتُ بَاقِيَةً

وَكَيْف يَبْقَى زَرعٌ مَالُهُ عَضُدِ[4]

أَقُولُ عَسَى عَطْفَةٌ يَمُنُّ عَلَىَّ بِهَا

رِبِّى وَيَجْمَعُنَا فِى جَنَّةِ الخُلْدِ[5]

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغت أخت حسين من شعرها. بكى حسين بكاءً شديدًا. وأنشد يقول هذا الشعر الآتى ذكره .

غَفَلْتُ وَحَادِي المَوتُ فِى طَلَبِى يَجِدُّ

وَإِنْ لَمْ أَمُتْ يَوْمًا فَلابُدَّ مَا أَمَدُ

أنْعَم جِسْمِى بالثِّيَابِ وَلِينَهَا

وَلَيْسَ لِجِسْمِى مِن ثِيَاب البِلاَ بُدُّ[6]

كَأَنِّى وَقَدْ مِتُّ فِى بَرْزَخِ البِلاَ

وَمِنْ فَوقِى رَدْمٌ وَمِنْ تَحْتِى اللَّحْدُ[7]

---

(1) فى الأصل: (فى جسدى).

(2) فى الأصل: (سائر الأبدى).

(3) فى الأصل: (فى كبدى).

(4) فى الأصل: (عضدى).

(5) فى الأصل: (الخلدى).

(6) فى الأصل: (بدوا).

(7) فى الأصل: (اللحدوا).

وَقَدْ مُحِيَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنِ كُلُّهَا

وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ العَظْمِ لَحمٌ وَلاَ جِلْدُ[1]

سَأَلْتُ إِله العَرْشِ يَغْفِرُ زَلَّتِى

فَقَدْ يَغْفِرُ المَوْلَى إِذَا أَذْنَبَ العَبْدُ[2]

وَمَالِى شَفِيعٌ غَيرُ جَاهِ مُحَمَّدِ

وَمِنْ جَاهَه فى الحَشْرِ: أَنْ لَيْس لَهُ رَدُّ[3]

عَلَيْهِ صَلاةٌ مَا لاَحَ بَارِقٌ وَمَا

هَطُلَتْ سُحبُ وَمَا قَهْقَه الرَّعْدُ[4]

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من كلامه بكت أخته بكاءً شديدًا وأنشدت تقول هذه الأبيات الآتى ذكرها.

أَقُولُ وَقَدْ أَسْبَلْتُ فى اللَّيْلِ عِبْرَتِى

عَلى صَحْنِ خَدِّى مِن فُرَاقِ أَحِبَّتِى

أَحْبَابُنَا أَنْتُمْ نَسِيتُمْ عُهُودَنَا

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَلى بُعْدِ الدِّيَارَ وَوِحْدَتِى

أَرَى كُلَّ مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ مِنِ الهَوى

يُعَالِجُ أَشْوَاقِى وَيَشْكو كَشَكْوَتِى

لأَنِّى غَرِيبٌ فِى البِلاَدِ مُوجعٌ

أُقَاسِى أَلِيمَ البُعْدِ فِى كُلِّ بَلْدَتِى

---

(١) فى الأصل: (ولا جلدوا).

(٢) فى الأصل: (العبدوا).

(٣) فى الأصل: (ليس له ردوا).

(٤) فى الأصل: (الرعدوا).

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغت[١] أخته من شعرها. بكت بكاءً شديدًا وودعت أخيها، وباسته، وعانقته. فغمى عليهما، وقد سقطوا إلى الأرض. فظنت الناس أنهم قد ماتوا فعند ذلك تباكت المشايخ، والفقراء، وأهل بغداد وزاد بهم الوجد والهيام. فلما أفاقوا من غشوتهم[٢].

وقد أعلنت بالبكاء والنحيب وقد أنشدت تقول:

بكَتْ عَيْنِى عَلَى تَغْيِير حَالِ
وَصَرْفَ الدَّهْرُ فِى تِلْكَ اللَّيَالِى
وطُولُ الحُزنِ بَعْدَ حَبِيبِ قَلْبِى
وَحُزنِى زَائدٌ كَيْفَ احْتِيَالِى
وَمَنْ أَرْجُوهُ يَا أَخِى يَكُنْ لِى
إِذَا بَقَتِ النِّسَاءُ بِلاَ رِجَالِ
أخِى لَمْ أزَلْ الدَّهَرَ أَبْكِى
وَقَلْبِى مُوَجعٌ مِن سُوءِ حَالِى
أخِى كَيفَ أَصْبِر عَنكَ وأَسْلُو
وَتَهْنأ عِيْشَتِى فِى ذى اللَّيَالى
أَلاَ يَا نَاسُ مَا تَرْثُوا لِحَالى
وَحُزْنِى زَائِدٌ زَادَ انْتِحَالِى

(١) فى الأصل: (فى الأصل: (فرغ).

(٢) تركت صياغة هذه الفقرة دون تعديل خوفًا من ضياع روحها.

أخِـــى لاَ تَـــنْـــســـى[١] عُـــهُـــودى

وَلاَ تَـــنْـــسَ المَـــوَدَّةَ والمْـقَـــــــــالِ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغت أخته من شعرها. قامت وودعت أخيها[٢]. وسارت إلى منزلها وهى حزينة القلب، زاهلة اللب. لا تبرد نارها، ولا يقر قرارها لأجل أخيها المظلوم.

قال الراوى يا سادة:

فعند ذلك نادى المنادى، وهو المشاعلى فى مدينة بغداد:

«ألا يا أهل بغداد، ويا أهل البلدان ومعاملة بغداد. كل من أراد أن يتفرج على قتلة[٣] حسين الحلاج فليحضر. يا أمة محمد بالعَجَلِ».

قال الراوى يا سادة:

فما إن أتم كلامه حتى حضر أهل بغداد، ولم يبق فى بغداد لا كبير ولا صغير، ولا ابنة، ولا امرأة، ولا شيخ ولا رجل إلا وقد حضر فى تلك الساعة. وقد خلت بغداد من أهلها. وقد ازدحمت الخلق. بعضها على بعض. حتى بقى[٤] القدم على القدم اثنين وسبعين قدم ثم أتى به المشاعلى إلى تحت المصلب، وربطه بعد أن قطع يديه ورجليه. فأتى شيخه الجنيد ليودعه. فالتفت إلى حسين الحلاج. فرآه[٥] يبتسم، وهو صامت لا يتكلم، ولا يتألم. فعانقه[٦] شيخه، وباسه وودعه. وقال له:

يا حسين لا تنسى العهد والصحبة، والتربية. بينى وبينك يوم القيامة.

---

(١) فى الأصل: (ات تنصا)، (ولا تنسا المودة).

(٢) فى الأصل: (وودعت أخوها).

(٣) لعل الناسخ أراد على قتل حسين أو «مقتلة حسين».

(٤) فى الأصل: (بقا).

(٥) فى الأصل: (فراه).

(٦) فى الأصل: (فاعتنقه).

فقال له: السمع والطاعة لله ثم لك يا شيخى، واغنموا الأجر[١].

وأنشد يقول:

قِفُوا ودَعُونَا نَظْرَةً واغْنمُوا الأجْرَ

بِفِـــرَاقُكُم مِنّا الدَّمْعُ قَـدْ جَـرى بَحْـــرا

وَقَـدْ كُـنْتُ قَـبْـلَ اليَـوْمَ أكْـتُمُ سِـرَّكُمْ

فَلمَّـا جَـرىَ دَمْـعِي تَـهَـتَّكَ بالسَّـتْـرِ

وكَـانَ مـعِي عَـقْلِي وسَـمْـعِى ونَاظِرى

وذَا اليَـومُ لاَ عَـقَل مَلكتَ ولاَ صَـبْـر

سَلُوا حَـادِىَ الأظْـعَـان يَـرفُقُ سَّـرِكُمْ

فَـأرْوَاحُنا مَـا بَـيْن أظْعَـانكم تَسْـرِى

تَرَكْـتُم رَبُوعَ العِـزِّ مِـنْ بَعْـدِ أُنْسِـهَا

خَـرابًا وَوَحْـشَـا وَهى مُـظْلِمـة قَـفْـرِى

سَـأَلْتُ يا ربَّ ابـنُ الحُـسَـين

فَـهـدينَاهم فى النِّيَّـاتِ لنَا ذُخْـرى[٢]

وَأَيْنَ وَجُـوهٌ كَـان نُورُ جَـمَـالُهم

إذَا مَـا تَبَـدَّتْ تُـخْـجِلُ الشَّـمْـسَ والبَـدْرِ

أجَـابَ لِسَـانُ الحَـالِ عَنهمُ لَقَـدْ مَـضُـوا

فَـانْـدبهم وابْكِ بِمُـقْلَتِـكَ العِـبـرِ

فَلَيْـتَ شِـعْـرِى هَل يـجِـينى مُـبَـشّـرٌ

يَقُـل لِفُـؤادِى يَا فُـؤادِى لـكَ البِـشْـرُ

(١) (واغنم الأجر) هكذا يجب. لأنه يخاطب شيخه الجنيـد وربما أراد توسعة على آخرين من تحقيق أمله انظر القصيدة التالية.

(٢) هكذا ورد هذا البيت بالأصل.

وَأَنْزَل روُحى فِى لِـقَـــاء أحِـــبَّـــتى
وأسْـــجـــد لَرِبِّـى حين ألقـــاهُمُ شُـكرى

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره بكى شيخه بكاءً شديدًا، وأنشد يقول:

رَحَلُـوابِى فَى قَـلْبِ المُتَــيَّـمِ خَــيَّــمُــوا
فَــأنَـا الحَـــزينُ لِـفَــقْــدِهِم والمُـغْـــرَمُ
وَمَــا كَــانَ أحْلَى فِى العُــيــونِ جَــمَــالُكُم
وَيَلَـذُّ فِى سَــمْـــعِى حَـــدِيثًـــا عَنْكُمُ
ضَــاقَتْ بِـى الدُّنْيَــا لَـغَـيْـبَــةِ حُــسْنِكُمْ
لاَ أوْحَــشَ الـلَّـــه المَـنَــازِلَ مِـنْــكُــمُ
يَا بُـنى قَـــدْ شَــتَّت شَـــمْلِى بَـعْـــدَهُم
وَأَصَــاب قَلْبِى مِن شــهــامِـكَ أسْــهُمُ
وَأَذَقْـــتَنِى الـتَّــــفْــرِيـقَ مِنْهُـم لَوْعَــةً
كَـــــــادَتْ لَهُ رُوحِـى تَـذُوبُ وتُعْــــــدَمُ
غَـــابَ أقْـــمَــارِ الحِــمَى تَـحْتَ الثَّــرَى
فَلَـوْلاَ جَــمَـــالُكُمْ لَمْ أكُـنْ قَـــدْ أُقْــسَمُ
وَلَقَــدْ عَــزَمتُ على الـتَّـصَبُّــرِ سَـيِّـدى
فَــوجَــدْتُ قَـلْبِى قَـــدْ تَرَّحل مَــعـكُمُ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ شيخه من شعره، ودعه وسار وفى قلبه لهيب النار. من أجل فراق حسين الحلاج لأنه رباه مثل ولده. فعند ذلك رمى الجلاد الحبال على الخشب. وقال لهم: اسحبوه.

فلما سار على الخشب. رأى من تحته خلق كثير مثل الجراد المنتشر. فأدار وجهه إلى القبلة وزعق. وقال:

«يا أهل بغداد، ويا فقهاء، ويا علماء، ويا مشايخ، ويا فقراء، ويا أمة محمد. الفاتحة فى صحائفكم، وفى صحائف من أحسن ومن أساء».

قال الراوى:

فلما سمعت الناس[1] من حسين هذا الكلام ماجوا. كما يموج البحر الزاخر. وزاد بهم البكاء والنوح، والعلائل والصراخ. وزعقت الفقراء، وتوارت المشايخ، وتصارخت الرجال. وثار العيل وعلا القتام، وعاد النهار كالظلام. وقد خيل للناس أن السماء قد وقعت عليهم، وأن الأرض قد خفت بهم. وكادت الفتنة أن تقع بينهم.

فقال لهم حسين:

يا مشايخ، ويا فقراء. لا تزعجوا أرواحكم فإننى قد حللت كل من أساء إلىَّ لأجل شيخى الجنيد، ولأجل عينه تكرم ألف عين.

فلما فرغ حسين من هذا الكلام قال لهم الجلاد:

«أرجموه» فرجمه الناس بالحجارة وهو يضحك ويبتسم، رضى الله عنه، ويقول:

«طيب، طيب فى الأرض الحبيب. ما أحسن المحبوب ومشاهدة الحبيب».

فقام شيخه الجنيد ورجَمه بوردة حمراء رماه بها فقال حسين:

«آه يا شيخى. آلمتنى وقتلتنى».

وبكى بكاءً شديدًا من تلك الوردة. وقال شيخه: الناس قد رجموك بكل شيء فما تأذيت إلاّ من وردتى.

قال:

أما تعلم أن ضرب المحب يؤذى.

---

(١) فى الأصل: (النار) وهى تخالف السياق.

وأخـذ فى النزاع إلى أن مات. ثم أنزلوه، وحـرقـوه بالنار إلى أن لم يبق منه شىء. وقد وقعت الخمدة على بغداد فأتت أخته، وأخذت من رماده شيئًا. وتركته عندها. فـبـعـد مدة ثلاثة أيام، من مـوت حسـين طافت الدجلة على بغـداد، وخرجت إلى الدور، والقصور. فتصـارخت النساء، وتهاربت الرجال. وصعدت إلى الأسطح، والمآذن. وكثر الضجيج والعجيج، والأمر المريج.

فبلغ الماء إلى نصف الحيطان. وقد أخذ الأطفال وغَرَقَتْ العجائز الكبار. قال: فاستغاثت الناس بأخت الحسين الحلاج. فخرجت وأخذت رماد أخيها وصعدت به إلى مكان عادل، ورمت به فى الماء.

وقالت له:

يا أيها الماء يسلم عليك أخى حسين الحلاج ويأمرك أن تهمد. فإنه قد حلل كل من أساء إليه لأجل شيخه الجنيد.

قال فهمد الماء من ساعته، وسكن، وتراجعت الناس تنظر من فقد منهم. فرأوا أناس كثيرين فقدوا: غرقا فى الماء. وراح شىء كثير فى الماء من الأرزاق وغيرها. وقد فرحوا بإزالة الماء.

وهذا ما انتهى إلينا من قصة الحلاج، ومن ترحم لنا. قلها:

اللهم اغفر لنا، وإلى أرواح والدينا، وإلى كل المسلمين أجمعين.

وكان الفـراغ من هذه النسخة المباركـة نهار الجمـعة عشرة أيام خلت من شـهر شعـبان المبـارك الذى هو من شهور سنة تـسعة وتسـعين ومائة وألف من الهـجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، وسلم ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

سبـحان ربك رب العزة عـما يصفـون. وسلام على المرسلين والحـمد لله رب العالمين. قد تمت على يد عبده الفقير المعترف بالذنب والتقصير عيد خليل السكرى الحنفى مذهبًا. النقـشبندى طريقة. عامله الله بلطفه الخـفى. ولطف به فى جميع أموره. ورحم الله أسلافه. وجميع أمة محمد ﷺ برحمته وهو أرحم الراحمين.

مختارات للحلاج

نبذة من الطواسين

طاسين السراج

وددت أن أرفق خلف هـذا النص جـزءً مـن طواسين الحـلاج وهو : «طاسين السراج». ليتعرف القارئ الذى لم تتيسر له ظروف الاطلاع على أعمال الحلاج أن يقترب من فكره، ولغته الصافية، وروحه المشـعة فيما بين الكلمات. وقد اقتطعت هذه الفقرة أو هذا الجزء المسمى بطاسين السراج من النسخة التى حققها بولس نويا اليسوعى والذى نشـرته جامعة القديس يوسـف فى بيروت سنة ١٩٧٢ ثم أعادت نشره دار النديم للصحافة والنشر والتوزيع تحت عنوان «كتاب الطواسين».

طس السراج

سراج من نـور الغيب بدا، وعـاد وجاوز السـرج وساد. قمـر تجلى من بين الأقـمار. كوكب برجـه فى فلك الأسرار. سمـاه الحق «أميًا» لجمـع همته، وحرمـيًا لعظم نعمـته، ومكيًا لتـمكينه عند قربـته شرح صـدره، ورفع قدره، وأوجب أمره، وأظـهر بدره، طلع بدره من غمـامة اليمامـة، وأشرقت شمسـه من ناحية تهامـة، وأضاء سراجه من مـعدن الكرامة.

ما أخبر إلاّ عن بصيـرته، وما أمر بسنته إلاّ عن حسـن سيرته. حضـر فأحضر، وأبصر فأخبر. وأنذر فحذر.

ما أبصره أحـد على التحقيق، سوى الصدّيق. لأنـه وافقه، ثم رافقه لئلا يبـقى بينهما فريق.

ما عـرفه عـارف إلاّ جهل وصـفه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

أنوار النبـوة من نوره برزت، وأنواره من نـوره ظهـرت؛ وليس فـى الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم فى القدم سوى نور صاحب الحرم.

همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم: لأنه كان قبل الأمم والشيم. ما كان فى الآفاق، ووراء الآفاق، ودون الآفاق أظرف، وأشرف، وأعرف، وأنصف، وارأف، وأخوف، وأعطف من صاحب هذه القصة، وهو سيد أهل البريّة، الذى اسمه أحمد، ونعته أوحد، وأمره أوكد، وذاته أجود، وصفاته أمجد، وهمته أفرد.

ياعجبًا ما أظهره، وأبصره، وأطهره، وأكبره، وأشهره، وأنوره، وأقدره، وأصبره. لم يزل. كان مشهورًا قبل الحوادث والكوائن والأكوان؛ ولم يزل. كان مذكورًا قبل القبل، وبعد البعد، والجوهر والألوان. جوهره صفوى، كلامه نبوى علمه عُلوى، عبارته عربى، قبلته لا مشرقى ولا مغربى، حَسَبُهُ أبوى، رفيقه ربوى، صاحبه أموى.

بإرشاده أبصرت العيون، وبه عرفت السرائر والضمائر. والحق أنطقه، والدليل أصدقه، والحق أطلقه. هو الدليل، وهو المدلول. هو الذى جلا الصدأ عن الصدر المعلول. هو الذى أتى بكلام قديم، لا محدث ولا معقول ولا مفعول. بالحق موصول غير مفصول، الخارج عن المعقول هو الذى أخبر عن النهاية والنهايات، ونهاية النهاية.

رفع الغمام، وأشار إلى البيت الحرام. هو التمام. هو الهمام. هو الذى أمر بكسر الأصنام هو الذى كشف الغمام. هو الذى أرسل إلى الأنام، هو الذى ميّاز بين الإكرام والإحرام.

فوقه غمامة برقت، وتحته برقة لمعت وشرقت وأمطرت وأثمرت. العلوم كلها قطرة من بحره، الحكم كلها غرفة من نهره، الأزمان كلها ساعة من دهره.

الحق به، وبه الحقيقة. والصدق به، والرفق به، والفتق به، والرتق به. هو الأول فى الوصلة والآخر فى النبوة والظاهر بالمعرفة والباطن بالحقيقة.

ما وصل إلى علمه عالم، ولا اطلع على فهمه حاكم.

الحق ما أسلمه إلى خلقه، لأنه هو، وأنّى هو، وهو هو.

ما خرج خارج من ميم «محمد»، وما دخل فى حائه أحد.

حاء وميم ثانية، والدال وميم أوله. داله دواؤه، ميمه محله، حاؤه حاله، ميم ثانية مقاله.

أظهر إعلانه، أبرز برهانه، أنزل فرقانه، أنطق لسانه، أشرق جنانه، أعجز فرآنه، أثبت بنيانه. رفع شانه.

إن هربت من ميادينه فأين السبيل بلا دليل يا أيها العليل وحكم الحكماء عند حكمته ككثيب مهيل!».

ومعلوم أنه هنا يتحدث عن الحقيقة المحمدية.

* * *

فهرست تفصيلى
يوضح النقاط الأساسية
فى القصة مع العناوين
الداخلية للدراسة

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة